الاستشراق الهولندي
بين السرد التاريخي والتجربة المعاصرة

د. صلاح عبد الرزاق(*)

مقدمة

تُعد مدرسة الاستشراق الهولندي من أقدم مدارس الاستشراق، حيث تعود إلى القرن السادس عشر، وتأسيس جامعة لايدن Leiden عام ١٥٧٥. وهي أقدم جامعة هولندية أسَّسها ويليام الصامت William De Zwijger بأمرٍ من أمير هولندا ويليام أوف. أورانج. وقد دَرَس فيها ملوك وملكات هولندا. وتضم الجامعة ست كليات وأكثر من خمسين قسماً وأربعين معهداً وطنياً ودولياً مختصاً. وتحتل الجامعة المركز (٢٩) بين أفضل جامعات العالم في مجال الفنون والعلوم الإنسانية.

ومنذ تأسيسها كانت جامعة لايدن قبلةً للمُستشرقين والباحثين والمُستعربين. ففي عام ١٦١٣ تأسَّس فيها أول كرسي للدراسات العربية. وفي عام ١٦١٤ تأسَّس كرسي اللغات السامية في جامعة أمستردام، وكرسي اللغة العربية عام ١٦٣٢. وفي عام ١٨٨٠ تأسَّست كراسي اللغات العربية والسنسكريتية والصينية في جامعة أوتريخت. وفي عام ١٩٢٣ تأسَّس في جامعة نايميخين الكاثوليكية كرسي اللغات السامية وآدابها كالعربية والعِبرية والسريانية ثمَّ الدراسات الإسلامية، والمعهد الملكي للغات والجغرافيا والسلالات البشرية عام ١٨٥١، والمعهد الشرقي لدراسة الشرق والإسلام باللغات السامية والإندونيسية عام ١٩١٧، والمعهد الهولندي لآثار وفقه لغات الشرق الأدنى عام ١٩٣٩[1].

وكان لهذهِ المعاهد المتخصصة نشرات علمية تحتوي نصوصاً وفيرة عن الطب والجغرافيا، مثل نشرة يانوس عام ١٨٩٦، ونشرة دراسات عام ١٩٣٨، ونشرة المكتبة الشرقية عام ١٩٤٣، ومنتخبات شرقية عام ١٨٤٨، والشرقيات عام ١٩٤٩.

إلى جانب الكراسي التخصصية بالشرق والإسلام واللغات السامية، أُنشئت في هولندا جمعيات مثل الجمعية الشرقية أو جماعة المُستشرقين في جامعة لايدن عام ١٩٢٠، والتي صدرت منها مجلَّة علمية اسمها الأعمال

(*) جامعة لايدن / هولندا.
slahrazaq@yahoo.com

الشرقية. وقد نشرت هذهِ الجمعية أول كتاب لها بعنوان: (هولندا الشرقية)، بمناسبة يوبيلها الفضي. وتأسَّست (جمعية غرب آسيا ومصر) عام ١٩٣٣، والمتحف الوطني للآثار، والمتحف الوطني للسلالات.

إلى جانب جامعة لايدن، اهتمت جامعات هولندية أخرى بدراسة الإسلام والعربية، مثل جامعة أمستردام الحكومية، وجامعة أوتريخت، وجامعة أمستردام الحرة البروتستانتية، وجامعة نايميخن الكاثوليكية، وجامعة خرونكن. كما تأسَّست معاهد داخل الجامعات وأخرى خارجها تابعة للكنائس. وهذهِ الجامعات لها أقسام وأساتذة مختصون بالدراسات الإسلامية. كما تناقش فيها رسائل الماجستير والدكتوراه. وتُقيم ندوات ومؤتمرات تخصصية. وتنشر كتباً عن الإسلام بعدَّة لغات.

في لايدن تمَّ تأسيس معهد لايدن لدراسة الدين Leiden Institute for the Study of Religion LISOR

وهو المعهد الذي نلت فيه شهادتي الماجستير والدكتوراه.

المخطوطات العربية والشرقية

اهتم الاستشراق الهولندي بالمخطوطات العربية والشرقية باعتبارها مصادر رئيسة للتراث العربي والإسلامي، وتتضمَّن حوادث التاريخ والجغرافيا والأدب واللغة، وكتب التفسير والعلوم الأخرى كالطب والفلك والهندسة والرياضيات والرحلات، وغيرها.

تضم جامعة لايدن أكبر مجموعة مخطوطات شرقية أنتجها العقل الإسلامي عبر قرونٍ طويلة، عربية وفارسية وتركية وأردو وغيرها. ويبلغ عددها (٢٥) ألف مخطوطة بعضها نفيس جداً، وهي محفوظة من مكتبة جامعة لايدن. وتوجد مخطوطات لعباقرة العلماء المُسلمين، مثل ابن سينا والفارابي والرازي والبيروني والمروزي والسمرقندي والنيسابوري وابن حزم الاندلسي وآخرين.

وكان المُستشرقون الهولنديون يشترون المخطوطات ويحصلون عليها أثناء رحلاتهم إلى البلدان الإسلامية، أو تأتيهم من تلك البلدان كهدايا من مُقتنيها. وكانت نواتها هي المخطوطات التي جمعها وخلَّفها المُستشرق سكاليجر (١٥٤٠- ١٦٠٩)، وتضم مخطوطات عربية وعبرية، وأشهرها معجم من القرن الثاني عشر الميلادي، ونسخة من التلمود اليهودي، وتعليق الرازي على التوراة.

وكان المُستشرق ياكوب خوليوس، تلميذ المُستشرق إربينوس، قد قام برحلةٍ إلى الشرق عام ١٦٢٥م، وزار المغرب في بعثةٍ دبلوماسية عام ١٦٢٣م. وخلال جولتهِ اقتنى أنفس المخطوطات لمكتبتهِ الخاصة. وقسمٌ آخر اشتراه بمال جامعة لايدن فأودعها في مكتبة الجامعة. وتضم المكتبة معاجم وموسوعات في اللغة والأدب والفلك والطب والفلسفة، مثل (القاموس المُحيط) للفيروزآبادي، موسوعة النويري، نهاية الإرب في فنون الأدب، وكتب

لابن حوقل وابن سينا. وقد اشترت جامعة لايدن مخطوطات مكتبة خوليوس الشخصية بعد وفاتهِ، والتي بيعت في المزاد عام ١٦٩٦م. كما اشترت المكتبة مخطوطاتٍ أخرى من مكتبة فان دير بالم Van de Palm.

وأُضيف لمخطوطات جامعة لايدن مجموعة ليفي وارنر Levy Warner (ت١٦٦٥م)، التي تضم ألف مخطوطة بين عربية وعبرية وفارسية وتركية، والتي اقتناها طيلة إقامتهِ في إسطنبول في الفترة ١٦٤٤-١٦٦٥، من مكتبة حاجي خليفة صاحب كتاب (كشف الظنون).

في عام ١٨٨٣ حمل أمين بن حسن الحلواني الحنفي مجموعة مخطوطات إلى أمستردام، فتقاسمتها مطبعة بريل في لايدن. وفي عام ١٩٠٤ باع أمين الحلواني ما تبقى لديه من مخطوطات إلى جامعة لايدن الهولندية، (٦٣٣) مخطوطاً أخرى إلى جامعة برنستون Princeton.

وتضم مكتبة لايدن مخطوطاتٍ غير كاملة، ومنها أجزاء من القرآن الكريم بالخط الكوفي وعلى ورق البردي، ومخطوط (خلق النَّبي) لمؤلِّفهِ مُحمَّد بن عبد الله بن عبد العزيز، من القرن السادس الهجري / الحادي عشر الميلادي. ومخطوط (غريب الحديث) لأبي عبيد بن القاسم الهروي (ت٢٢٤هـ/ ٨٣٨م)، وتعود المخطوطة لعام (٢٥٢هـ/ ٨٦٦م). وهي أقدم مخطوطة مؤرَّخة ومكتوبة على الورق في مكتبات أوروبا. وتوجد مخطوطة كتاب (لزوم ما لا يلزم) لأبي العلاء المعري (ت٤٤٩هـ/ ١٠٥٧م) وعليها قراءة في مدينة بغداد سنة (٤٩٦هـ/ ١١٠٣م)، وكتاب (مشكل القرآن) لابن قتيبة (ت٢٧٦هـ/ ٨٨٩م) ومكتوبة سنة (٤٠٤هـ/ ١٠١٣م). كما يوجد أقدم معجم لاتيني - عربي كُتب في القرن الرابع الهجري / العاشر الميلادي، وقال عنه المُستشرق فورهوف Voorhoef: (إنه أقدم وثيقة تتعلَّق بفجر الدراسات العربية في أوربا)[٢]. في هذا المعجم تظهر الكلمات العربية مكتوبةً بالخط المغربي وليس المشرقي. الأمر الذي يُشير إلى أنَّ مَن كتبه من الأوربيين قد تعلَّم الكتابة العربية على الرسم المغربي الأندلسي المشهور في المغرب. وهو قلم غير معروف بين الكُتَّاب والنُسَّاخ في المشرق.

إنَّ الاستشراق الأوربي يَدين لجهود المُستشرقين الهولنديين في ما يتعلَّق بالدراسات الأندلسية الحديثة. وكانت إسبانيا وريثة التراث الأندلسي قد اتخذت موقفاً عدائياً تجاه التاريخ العربي الإسلامي فيها، ولم تعتنِ إسبانيا بالتراث الأندلسي المحفوظ لديها إلَّا بعد أن شاهدت الاهتمام الملحوظ بالدراسات الأندلسية من قبل المُستشرقين الأوربيين الآخرين.

وكانت هولندا على علاقاتٍ تجارية وسياسية مع المغرب، يجمعهما العداء المشترك لإسبانيا التي كانت تحتل قسماً من الأراضي

الهولندية. وكان أمير هولندا قد طلب وساطة السفير أحمد بن القاسم الحجري إلى المغرب لتقديم مساعدة عسكرية لهولندا ضد إسبانيا. وكانت تلك العلاقات بين المغرب وإسبانيا قد عزَّزت العلاقات الدبلوماسية والتجارية بين البلدين. وقد اقتضى ذلك تبادل السفراء والمبعوثين والزيارات المتبادلة، والحاجة إلى مترجمين يُجيدون العربية واللاتينية. وهذا ما شجَّع المُستشرقين الهولنديين للاهتمام بالمخطوطات المغربية التي ضمَّت جزءاً من التراث الأندلسي.

مطبعة بريل

أنشأ المُستشرق إربينوس في بيتهِ مطبعةً عربية صارت أساس الطباعة العربية، وهي مطبعة بريل Brill في مدينة لايدن. وقد أشرف عليها المُستشرق بريل، ثمَّ تحولت إلى شركة مساهمة تطبع باللغات العربية والفارسية والتركية والقبطية والآشورية والبابلية والسريانية والجاوية والملاوية والعِبرية والصينية واليابانية والسيامية وغيرها. وكانت المطبعة تقدم خدماتها للمُستشرقين والجامعات والمعاهد ومراكز الأبحاث. ونشرت آلاف العناوين من الكتب والمُصنَّفات العربية، مثل كتاب (قواعد اللغة العربية) باللغة اللاتينية عام ١٦١٣، وأُعيد طباعته عامي ١٦٢٠ و ١٦٢١. ونشر إربينوس (منتخبات عن شعر الحماسة لأبي تمام)، و (تاريخ المُسلمين) وهو قسم من (تاريخ ابن العميد) مع ترجمتهِ إلى اللاتينية، ونشر كتاب (أمثال لقمان). وفي عام ١٦١٧ نشر كتاب لعبد القاهر الجرجاني (١٠٠٩-١٠٧٨م) في روما. ونشر تحقيق ونص كتاب (تاريخ الرسل والملوك) للطَّبري، و (فتوح البلدان) للبلاذري، وكتب الغزالي وابن الأثير وابن سينا وابن زيدون وابن جبير وابن الأثير وابن تغري بردي والدينوري وغيرهم.

توماس إربينوس

كان أول مَن تبوأ كرسي الدراسات العربية هو المُستشرق الهولندي توماس إربينوس Erpenius Thomas (١٥٨٤-١٦٢٤)، الذي يُعد مؤسس المدرسة الاستشراقية في هولندا.

ولد إربينوس في مدينة خوركم Gorkum بهولندا. ودَرَس اللاهوت في لايدن، وحصل على الماجستير من جامعتها عام ١٦٠٨ في الآداب.

تعلَّم إربينوس العربية أثناء إقامتهِ في فرنسا لدراسة اللغة العربية على يد المصري القبطي يوسف أبو ذقن Joseph Barbatus Abudacnus، الذي أصدر فيما بعد كتابه (تاريخ اليعاقبة أي الأقباط في مصر) Historia Jacobitarum seu Coptorum in Aegypto باللاتينية، طُبع في أكسفورد ١٦٧٥، وفي لوبك Lubeck شمالي ألمانيا عام ١٧٣٣، وفي لايدن ١٧٤٠. فكان لتخاطبه مع هذا العالم المصري فضل كبير

في إتقانهِ للغة العربية (كتابةً ومخاطبة)، حتَّى أنه استطاع بعد تسعة أشهر، في ١٤ أيلول ١٦٠٩، أن يكتب رسالةً إلى بدول Bedwell باللغة العربية الفصحى، طبعاً مع ارتكاب بعض الأغلاط اللغوية والنحوية. وقد نشر نص هذهِ الرسالة المُستشرق الهولندي هوتسما M. T. Houtsma[٣]، في أعمال أكاديمية العلوم في أمستردام (ج١٧، ص١٢٦).

من بين الذين تعلَّم إربنيوس على أيديهم اللغة العربية برز أمين مكتبة الملك، وهو إسحق كازوبون Isaac Casaubon (١٦١٤-١٥٥٩)، وكان أكبر علماء اليونانية في عصرهِ وعالماً موسوعي المعرفة. لقد تبيَّن لكازوبون موهبة إربنيوس لتعلم اللغات، فشمله بعنايتهِ، ويسَّر له الانتفاع بما في المكتبة التي كان كازوبون أميناً لها من مخطوطاتٍ وكتبٍ عربية، وكان من بينها ما تركه هادريانوس جيوم الذي كان طالب طب من مدينة فليسنگن Vlissingen وتوفي شاباً عام ١٦٠٤، وكان يُحسن العربية، وقرأ ابن سينا، وبدأ مع كازوبون ترجمة كتاب عن جغرافية النوبة، وترك كتاباً في النحو العربي.

إضافة إلى العربية تعلَّم إربنيوس الفارسية والعبرية والأثيوبية. ولخبرتهِ في اللغات تمَّ تعيينه مترجماً للدولة لترجمة الرسائل المتبادلة مع الدول الإسلامية وأفريقيا.

ولمواصلة دراساته في اللاهوت ترك باريس في نوفمبر ١٦٠٩ وسافر إلى سومير Saumur(غربي فرنسا) لمتابعة دروسه في اللاهوت، فأقام بها عاماً.

وعقد العزم على التخصص في اللغة العربية وإتقانها نحواً وصرفاً. فقرأ (الأجرومية)، و (الكافية)، و (العوامل المائة) للجرجاني (١٠٠٩-١٠٧٨م) وما شابه ذلك من كتبٍ في النحو والصرف يَسَّرَ له الاطلاع عليها كازوبون واستيفانوس هوبرتوس Hubertus الذي كان طبيباً في بلاط الملك الفرنسي هنري الرابع (حكم ١٥٨٩-١٦١٠)، وراح يقرأ القرآن في مخطوطٍ كان بين تركة هادريانوس جيوم الفليسنگي (ويوجد الآن في مكتبة بودلي بأكسفورد، راجع فهرست هذهِ المكتبة ج٢ (B.65, n. XI)[٤].

تعمَّق إربينوس في فهم أسرار اللغة العربية، وتبيَّن له أنَّ الفروق بين العربية والعبرية مطَّردة وتخضع لقواعد عامة في النطق. واهتم بالفوارق بين اللغة العربية الفصحى وبين اللهجة العامية. وقرر أن يعرض قواعد النحو العربي بإيجاز وترتيب منهجي. وبناءً على اقتراح من كازوبون، شرع في تحقيق ونشر مجموعة ـ مجهولة المؤلِّف ـ من الأمثال العربية تتألَّف من ٢٠٠ مَثَل، كانت في مخطوط اقتناه فلورانس Fleurance الذي صار بعد ذلك مربياً للملك لويس الثالث عشر في روما وكلَّف أحد الموارنة بترجمتهِ إلى اللاتينية.

وقد قدَّم فلورانس هذا المخطوط، ومعه الترجمة اللاتينية التي قام بها هذا الماروني، إلى

كازوبون. فقام المُستشرق الإيطالي جوليو اسكاليجر (١٤٨٤- ١٥٥٨)Giulio Scaligerبترجمة وشرح ١٧٦ مثلاً، لكنه توفي دون أن يُتم ترجمة وشرح باقي الأمثال المائتين. فطلب كازوبون من إربنيوس القيام بنشر مجموع الأمثال هذا بنصه العربي مع الترجمة اللاتينية. وظهرت هذهِ النشرة في ١٦١٥ تحت العنوان العربي واللاتيني التالي:

(كتاب الأمثال):

Sue Proverbiorum Arabicorum centuriae duae, ab anonymo quodam Arabe collectae et explicatae, cum interpretatione latine et scholiis Ios. Scaligeri Caes. F. et Thomae Erpenii Leidae.

وترجمته (كتاب الأمثال: أو مائتان من الأمثال العربية، جمعها مؤلِّف عربي مجهول وشرحها، مع ترجمةٍ لاتينية وتعليقات قام بها اسكاليجر وتوماس إربنيوس). وقد أُعيد طبع الكتاب ـ (طبعة ثانية أصح من الأولى) كما ورد في العنوان ـ مرةً ثانية في ١٦٢٣.

في عام ١٦١٠ عاد إربنيوس إلى باريس ليجد صديقه كازوبون قد انتقل إلى لندن، بعد اغتيال الملك هنري الرابع على يد كاثوليكي متعصب اسمه فرانسوا رافيلاك Francios de Ravaillac. ولكنه لكي يواصل طبعه لمجموع الأمثال العربية سافر في صيف ١٦١١ إلى مدينة كونفلانسConflans وهنا تصادف أن التقى بتاجر مراكشي يُدعى أحمد بن قاسم الأندلسي، فوجدها فرصةً رائعة للتخاطب بالعربية مع عربي مسلم. ومن أجلهِ سافر إلى باريس لإمضاء عدَّة أشهر لإتقان التخاطب بالعربية على أساس اللهجة المغربية. ولدى هذا التاجر المُسلم المغربي عرف إربينوس لأول مرة حقيقة الإيمان بالإسلام عند أتباعهِ، ودور السُّنَّة النبوية إلى جانب القرآن في تشكيل العقيدة الإسلامية، كما قال في رسالةٍ إلى كازوبون بتاريخ ٢٧ سبتمبر ١٦١١.

وكان أحمد بن القاسم الحجري (توفي بعد ١٦٤٠م) في مهمةٍ دبلوماسية من باي تونس إلى الحكومة الفرنسية. وقد حرَّر رحلته إلى فرنسا وهولندا في كتابهِ (ناصر الدين على القوم الكافرين)[٥]. وقد ذكره الحجري في مذكَّراته. كما قام الحجري بتدريس اللغة العربية للمُستشرق إتيان هوبير دي أورليان Etienne Hubert (١٥٦٧-١٦١٤)[٦].

وفي مارس ١٦١٢ وصل إربينوس إلى البندقية بإيطاليا، لكنه عاد في صيف العام نفسه إلى منزل أهله في هولندا. وجرى البحث بين المسؤولين في جامعة لايدن آنذاك لإنشاء كرسي للغة العربية، وكان يدرِّس العربية آنذاك يوهانس أنطونيوس، تلميذ المُستشرق الهولندي فرنسيسكوس رافيلنجيوس Franciscus Raphelengius(١٥٣٩-١٥٩٧). فقام كازوبون وهو جد الهولندي دانيل هينسيوس

Heinsius Daniel(١٥٨٠-١٦٥٥) بتزكية ترشيح إربنيوس لهذا المنصب، المُزمع إنشاؤه. وفعلاً عُيِّن إربنيوس أستاذاً للغة العربية في كرسي اللغة العربية بجامعة لايدن وذلك في سنة ١٦١٣، واستمر في هذا المنصب حتَّى وفاته المبكرة في ١٦٢٤ وهو في سن الأربعين. لكنه في هذهِ الفترة القصيرة أنتج إنتاجاً عظيماً.

وهذه لائحة بمؤلَّفاته:

(١) أصدر أولاً كتاباً في (النحو العربي) يُعد أول عرض منهجي للغة العربية الفصحى كتبه عالم أوروبي. وعنوانه باللاتينية (وهو مكتوب باللاتينية شأن معظم ما كتبه المُستشرقون حتَّى القرن الثامن عشر) هو:

Grammatica Arabica, quinque libris methodice explicata, aThoma Erpenio, Arabicae, Persicae, etcaet. Linguarum Orientalium in Academia Leidensi Professore, Leidae, in Officina Raphelengiana, 1613–14.

وترجمته: (النحو العربي في خمسة أبواب، مشروح منهجياً بقلم توماس إربنيوس، أستاذ العربية والفارسية.. إلخ اللغات الشرقية في أكاديمية لايدن. (لايدن، في مطبعة رافيلنجيوس، ١٦١٣، في قطع الربع).

- في القسم الأول من الكتاب (ص١-٤١) يبحث في الإملاء وقواعد الكتابة وأنواع الخطوط العربية، وقواعد النطق بالحروف، وأصوات القراءات القرآنية.

- وفي القسم الثاني (ص٤٣-١١٩) يبحث في تصريف الأفعال.

- وفي القسم الثالث (ص١٢٠-١٧٣) يتناول تكوين الأسماء، والإعراب، وتكوين جموع التكسير.

- ولا يُكرس للحروف إلَّا صفحات قليلة (ص١٧٤-١٨٣)، وكذلك لتركيب الجملة (ص١٨٤-١٩٢)، لكن القواعد دقيقة الصياغة واضحة، والأمثلة جيدة الاختيار.

ويدل على قيمة هذا الكتاب أنه بقي طوال قرنين من الزمان المتن غير المتنازع فيه لتدريس اللغة العربية في أوروبا. وتوالت طبعاته مع تعديلٍ قليل وإضافات لنصوص للقراءة: فأعادَ طبعه أنطون دويزنج Deusing Antoine ١٦٣٦، مع تصحيحاتٍ مأخوذة من تصحيحاتٍ كتبها إربنيوس بخطهِ في نسختهِ الخاصة، ثمَّ جوليوس Golius في ١٦٥٦، ثمَّ اسخولتنز في ١٧٤٨ أو ١٧٦٧. وترجمه إلى الألمانية ميخائيلس J. D. Michaelis في ١٧٧١. ولم يُزعزع ما كتبه أنطوان سيلفستر دي ساسي Antoine Isaac Silvestere de Sacy (١٧٥٨-١٨٣٨) في ١٨١٠. وهكذا كان كتاب (النحو العربي) تأليف إربنيوس قد سيطر طوال مائتي عام على تدريس اللغة العربية والنحو العربي في أوروبا

دون منافس ولا منازع.

(٢) أتمَّ إربنيوس في ١٦١٤ نشر (مجموعة الأمثال العربية) المُشار إليه آنفاً، وقد طُبع أيضاً في مطبعة رافيلنجيوس في لايدن (هولندا). وعاد ينشر مجموعةً أخرى من الأمثال؛ وألحق بالأمثال خرافاتٍ منسوبة إلى لقمان الحكيم هي في الواقع تعديل لخرافات يوسوفوس فلافيوس Josephus Flavius (٣٨-١٠٠م) اليهودي اليوناني، حرَّرها كاتب نصراني مصري مجهول، وبلغةٍ عربية ذات رطانة مألوفة لدى الكُتَّاب النصارى الأقباط في مصر. وظهرت هذهِ النشرة بالعنوان العربي واللاتيني التالي:

(أمثال لقمان الحكيم وبعض أقوال العرب)

Locmani Sapientis Fabulae et selecta quaedam Arabum Adagia cum interpretatione Latina et notis Thomae Erpenii. Leidae, in Typographia Erpeniana Linguarum Orientalium, 1615.

وكما هو واضح من العنوان، فإنَّ هذهِ النصوص العربية نُشرت مشفوعةً بترجمةٍ لاتينية وتعليقات. وقد ظلَّ هذا الكتاب يُستخدم للمطالعة عند تدريس العربية في أوروبا حتَّى منتصف القرن التاسع عشر أو يزيد. وأعاد طبعه إميل ريدجر (١٨٠١-١٨٧٤) Rödiger في ١٨٣٩. وكان إربنيوس قد عمل على ابتكار نمطٍ آخر من الحروف العربية يكون وسطاً في الحجم بين الحروف الصغيرة التي طبعت بها مطبعة مدتشي كتاب (القانون) لابن سينا، وبين الحروف الكبيرة التي طبعت بها الأناجيل. وعمل لهذهِ الحروف مطبعة مستقلة هي التي تولَّت طبع كتاب (أمثال لقمان الحكيم وبعض أقوال العرب).

(٣) واصل إربنيوس إصدار كتب مدرسية أخرى لتعليم اللغة العربية. فطبع سورة يوسف مضبوطةً بالشكل الكامل، في مطبعتهِ هذهِ، في ١٦١٧م، وذلك بعنوان عربي ولاتيني هو:

(سُورَةُ يُوسُفَ وتَهَجِّي العَرَب)

Historia Josephi Patriarchae, ex Alcorano Arabice. Cum triplici versione Latina et scholiis Thomae Erpenii, cuius et Alphabetum Arabicum Praemittitur. Leidae, ex Typographia Erpeniana Linguarum Orientalium, 1917.

وترجمته: (سورة يوسف وتهجي العرب: تاريخ يوسف النَّبي، مأخوذ من القرآن بالأصل العربي. مع ثلاثِ ترجماتٍ لاتينية وتعليقات بقلم توماس إربنيوس، وفي أوله

الحروف العربية. لايدن، مطبعة إربنيوس للغات الشرقية، ١٦١٧).

قدَّم إربينوس بين يدي الكتاب عرضاً موجزاً لقواعد الإملاء، ويضع فوق كل كلمة عربية مقابلها اللاتيني. ولما كانت هذهِ الترجمة كلمة كلمة وبين السطور لا تعطي معنى واضحاً، فإنه وضع في الهامش ترجمةً لاتينية موسَّعة. ولكي يُبين تفوق ترجمته، يقدم ترجمة لسورة يوسف إلى اللاتينية قام بها روبرتوس كيتننسسRobertus Ketenensis الذي ترجم القرآن كله إلى اللاتينية، وطُبعت ترجمته هذهِ في بازل عام ١٥٤٣، تحت عنوان Mahometis.. Alcoran(وتقع سورة يوسف من ص٧٦ إلى ص٨١).

وبعد هذا يورد إربنيوس تعليقات وشروحاً لغوية ونحوية. ثمَّ يختم الكتاب بإيراد السورة الأولى (الفاتحة) مع ترجمةٍ لاتينية وشروح.

(٤) سنة ١٦١٧، نشر إربنيوس النص العربي لكتاب (الأجرومية)، وكتاب (المائة عامل) للجرجاني، مضبوطةً بالشكل، مع ترجمةٍ لاتينية وشروح. وعنوان هذهِ النشرة:

(كِتَابُ الجَرُمِيَّة ومأْيةُ العَامِل)

Grammatica Arabica dicta Gjarumice, ex Libellus centum regentium cum versione Latina et Commentarijs Thomae Epenii- Leidae, ex Typographia Erpeniana Linguarum Orientalium, 1617.

(٥) وكان قد نُشر قبل ذلك في روما النص العربي لكتاب (الأجرومية) دون ضبطٍ بالشكل، وأعاد نشره بحسب طبعة روما كرستن Kersten في القسم الثالث من كتابهِ في النحو العربي ١٦٠٨، مع ترجمةٍ لاتينية سقيمة وحافلة بالأغلاط. أمَّا إربنيوس فقد استعان بأربع مخطوطاتٍ عربية لتحقيق نص كتاب (الأجرومية)، وترجمه إلى اللاتينية ترجمةً صحيحة جيدة، وأعان على فهم النص بما زوده بهِ من شروحات.

(٦) تعليقات وشروح وترجمة (المُصطلحات النحوية العربية)، استعان بنظائرها في اللاتينية إن وجدت في النحو اللاتيني، مثل:

- إعراب declinatio، ماضي praeteritum، مُعْرَب declinabilis، أمر imperativus، حركة vocalis ، مصدر infinitivus، مضارع futurum.

فإن لم توجد لها نظائر في النحو اللاتيني وضع لها ترجمةً لاتينية خاصة، مثل:

- استثناء exceptio، ظرف comprehensio، تمييز discretio، مبتدأ inchoatumh، حال status ، خبر socius.

أمَّا أسماء الحركات فقد رسمها بحروفٍ لاتينية، هكذا: (fatha فتحة)، (kesra

كسرة)، (damma ضمة)، (rafa رفع)، (nasab نصْب)، (chafad خفْض = كسر)، (gjezma جزم).

وكوَّن من هذهِ الرسوم المُلتّنة - (من اللاتينية إن صحَّ هذا التعبير، أي: ذو الرسم اللاتيني) ـ أفعالاً فقال: (rafare رَفَعَ)، (nasabare نَصَب)، (chafdare خَفَض)، (gjezmare جَزَم). ولهذا السبب أخذ عليه بعض النُقاد أنه بهذا (عرَّب علم النحو).

(٧) إلى جانب هذهِ الكتب المدرسية في النحو العربي، قام إربنيوس بتحقيق الجزء الثاني من تاريخ العالم تأليف المؤرخ القبطي المصري جرجس ابن العميد المعروف بـ(المكين) (المتوفى ٦٧٢هـ/ ١٢٧٣م)، ويشمل تاريخ الحوادث من عهد النَّبي مُحمَّد (ﷺ) حتَّى عام ٥٦٨هـ (١٢٦٠م). وبعد تحقيق النص قام بترجمتهِ إلى اللغة اللاتينية. لكنه أُصيب بالطاعون الذي سيؤدي بحياتهِ، فعهد بالإشراف على الطبع إلى تلميذهِ وخلفه في منصبهِ، ياكوب (يعقوب) جوليوس Jacob Golius (١٥٩٦-١٦٦٧)، فقام هذا الأخير بمهمة الإشراف على الطبع خير قيام، وظهرت النشرة مع الترجمة اللاتينية في ١٦٢٥، أي بعد وفاة إربنيوس بعام. وعنوانها:

(تاريخ المُسلمين من صاحب شريعة الإسلام أبي القاسم مُحمَّد إلى الدولة الأتابكية - تأليف الشيخ المكين جرجس بن العميد أبو إلياس بن أبي المكارم بن أبي الطيِّب).

id est historia saracenica, qua res gastas Muslimorum, inde a Muhammede primo imperii et religionis muslimicae auctore, usque ad intium imperii Atabacaei per XLIX imperatorum successionem fidelissime explicantur. Insertis etiam passini christianorum rebus in Orientis potissimum Ecclesiis eodem tempore gestis. Arabice exarata a Georgio Elmacino.. et Lation reddita opera et studio Thamae Erpenii. Accedit et Roderici Ximenes, Archiepiscopi Toletani, Historia Arabum,longe accuratius, quam ante, e Manuscripto Codice expressa. Lugduni Batavorum, ex Typographia Erpeniana Linguarum Orientalium, 1625.

وترجمته (تاريخ المُسلمين من صاحب شريعة الإسلام أبي القاسم مُحمَّد، إلى الدولة الأتابكية، تأليف الشيخ المكين جرجس بن العميد أبو الياس بن أبي المكارم بن أبي الطيب: أي تاريخ المُسلمين، ويذكر حوادث المُسلمين

من عهد مُحمَّد مؤسِّس أول دولة للمُسلمين وصاحب ديانتهم، حتَّى بداية دولة الأتابكة، على أيدي تسعة وأربعين حاكماً على التوالي. يُضاف إلى ذلك بعض ما وقع للكنائس المسيحية في الشرق من وقائع جرت في نفس الفترة. كتبه بالعربية جورجيوس المكين.. وترجمه إلى اللاتينية توماس إربنيوس. وأُلحق بهِ تاريخ العرب تأليف رودريكوس خيمينس Rodriguez Jimenez، رئيس أساقفة طليلطة، منشوراً بحسب المخطوط بعنايةٍ أكبر جداً من قبل. لايدن، مطبعة إربنيوس للغات الشرقية، سنة ١٦٢٥).

وكما هو واضح من هذا العنوان، فإنَّ إربينوس ضمَّ إلى نشرتهِ تحقيقاً للنص اللاتيني لكتاب (تاريخ العربHistoria Arabum تأليف دون رودريجو خيمينث دي رادا Don Rodrigo Jimenez de Rada (١١٧٠–١٢٤٧م)، وهذا التاريخ يبدأ بسيرة النَّبي مُحمَّد، ويسرد تاريخ الخلفاء الراشدين والدولة الأُموية والصراع في المغرب بين العرب في أسبانيا، ويعرض خلافة قرطبة، وينتهي بملحمةٍ عن المرابطين. وقد أضاف إربنيوس كتاب (تاريخ العرب) هذا لأنَّ المكين ابن العميد لم يولِ عنايةً تُذكر لأحداث المغرب والأندلس.

(٨) من جانب آخر عُني إربنيوس بالتراجم العربية للعهد الجديد:

١- نشر ترجمة عربية للعهد الجديد (الإنجيل) من نسخةٍ مخطوطة مكتوبة في ١٣٤٢م في دير يوحنا في صعيد مصر، وكان اسكاليخر قد أوصى بها لمكتبة لايدن بعد وفاتهِ، وعنوانها كما يلي:

Novum D.N. Jesu Chisti Testamentum arabice ex biliotheca Leidensi edente Thoma Erpenio. Leidae in Typographia Erpeniana Linguarum Orientalium, 1616, in 4, 648 pp.

وقد نشرها على حالها، وتغلب على ترجمة اللهجة العامية، ولا نعلم مَن ترجمها. لكن من المؤكَّد أنها من ترجمة بعض النصارى الأقباط في مصر، كما يتبيَّن من لغتها السقيمة العامية.

٢- ونشر أيضاً ترجمةً عربية لأسفار موسى الخمسة (التوراة)، وذلك في عام ١٦٢٢، وقد قام بهذهِ الترجمة يهودي مراكشي في القرن الثالث عشر الميلادي (السابع الهجري). وكانت النسخة المخطوطة مكتوبةً بحروفٍ عبرية. لكن إربنيوس نشر النص بحروفٍ عربية. وتحدث في المقدمة عن الخصائص اللغوية لهذهِ الترجمة ذات اللهجة العامية المغربية.

إنجازات المُستشرق يعقوب خوليوس

خلَفَ إربينيوسْ على رأس المُستشرقين الهولنديين يعقوب خوليوس (١٥٩٦-١٦٦٧)، الذي عمل أستاذاً للغة العربية ومادة الرياضيات. وقد أنشأ فيما بعدُ أول

مرصد فلكي هولندي في لايدن عام ١٦٣٣م. كما شغل خوليوس منصب أمين سر القنصل الهولندي بحلب السورية، ومستشاراً للحكومة الهولندية في قضايا أفريقيا الشمالية، وشؤون أخرى متعلِّقة بالمشرق العربي. وقد أدى خوليوسْ دوراً بارزاً في "اقتناء" مخطوطاتٍ عربية كثيرة أغنى بها مكتبة جامعة لايدن. ومن بين ما حصل عليه من مخطوطاتٍ ثمينة خلال إقامتهِ بمراكش في بعثةٍ علمية استغرقت سنتين، نذكر (وفيات الأعيان) لابن خلكان، و (المقدمة) لابن خلدون. كما حاول خوليوس ترجمة معاني القرآن كاملةً إلى اللغة الهولندية ضمن مخططهِ الهادف إلى دحض المتن القرآني بالكشف حسب زعمهِ عمَّا فيه من زلَّاتٍ وخرافات، ولكن محاولته باءت بالفشل. وقد ترك خوليوس ترجمة سورة واحدة من القرآن الكريم، وقاموساً "عربي-لاتيني" صدر عام ١٦٥٣م.

تطور الاستشراق الهولندي

لم يكن الاستشراق الهولندي منعزلاً عن تيارات القرون الوسطى بمفاهيمها ومنهاجها، وحتَّى أهدافها تجاه الإسلام والمُسلمين. ولم تنجُ من منزلق التبشير الذي وقعت فيه المدارس الاستشراقية الغربية. وقد بلغ الهوس التبشيري ببعض المُستشرقين الهولنديين إلى حدِّ الغباء، مثل هندريك كريمر Hendrik Kraemer (١٨٨٨-١٩٦٥). في حين التزم الآخرون أمثال دوزي Dozy، وآرنيت فنسنك Arent Jan Wensink (١٨٨٢-١٩٣٩)، ومنسك، ومارتاين ثيودور هوتسما Martinus Theodorus Houtsma (١٨٥١-١٩٤٣)، ودي يونك Pieter De Jong (١٨٣٢-١٨٩٠)، ودي بور De Boer (١٨٦٦-١٩٤٢) بالمنهج العلمي في البحوث والدراسات التي نشروها.

المُستشرق أدريان ريلاند

لم تتغير نظرة المُستشرقين الهولنديين إلى الإسلام في القرن الثامن عشر. ومن الأسماء اللامعة خلال هذا القرن نجد أدريانْ ريلاند الذي برع في فقه اللغة والفلسفة وعلم الجغرافيا والآثار والخرائط. أمَّا سخولتسْ Scholtz(١٦٨٦-١٧٥٠) الذي تقلَّد كرسي اللغات الشرقية بلايدنْ سنة ١٧٣٢م، فكان اهتمامه باللغة العربية نابعاً من اقتناعهِ بأنَّ هذهِ اللغة تخدم اللاهوت أفضل من غيرها، ومن ثمَّ اقتصرتْ دراساته وبحوثه على فوائد اللغة العربية في تفسير الكتاب المقدس.

في عام ١٧٠٥ نشر المُستشرق الهولندي أدريان ريلاند Adrian Reland (١٦٧٧-١٧١٨) كتابه (الديانة المُحمَّدية)، معتمداً على النصوص العربية والإسلامية دون الاستعانة بالمصادر الغربية. وكان ريلاند أستاذاً في جامعة أوتريخت Utrecht. بالإضافة إلى الهولندية فقد ترجم الكتاب إلى اللغات الفرنسية والألمانية والإنكليزية

والإسبانية. في عام ١٧٢٥ تمَّ إدراج الكتاب في لائحة الكتب الممنوعة الروم الكاثوليك. وكان ريلاند قد أشار في كتابهِ إلى أنَّ الواجب الإسلامي يحمي حياة اليهود والمسيحيين الذين يُقيمون في المُجتمعات الإسلامية. وبذلك نسف الدعايات والاتهامات المتداولة بين كتب المُستشرقين وكتب المبشرين والكنائس، متهمين إياه بأنه ضدَّ الكاثوليكية، وأنه يتبع المذهب الكالفني Calvinism. كما أزاح سوء الفهم الواسع المنتشر في الغرب تجاه المُسلمين، والذي أدى إلى ارتكاب أخطاء لا تُعد ولا تُحصى بحق الإسلام، وترجمة كلوني Cluny للقرآن الكريم السائدة آنذاك. لقد دافع ريلاند عن صورةٍ علمية للإسلام، ورفض الإشاعات والخرافات المتداولة.

كان ريلاند ينتقد مَن يكتب عن الديانات الأخرى معتمداً على نفسهِ ومصادره من خارج أصحاب الديانات موضع الحديث. وكان يرى في كتابات المسيحيين عن الإسلام بأنها كتابات عدائية بالمُجمل. وأنَّ تلك النظرة والمنهج يعني بيع الحقائق العلمية، كما تعني توجيه إسقاطات الديانة باتجاه ديانة أخرى.

وكان المُستشرق الفرنسي غويليام بوستال[٧] (١٥١٠-١٥٨١) Guillaume Postel قد بدأ في القرن السادس عشر بطرح فكرته النقدية، التي مضمونها: (كأنَّ إله الإسلام قد وجد ليكون بمثابة المرآة ينظر إليها المسيحيون ويمسحون خطاياهم). لكن ريلاند علَّق عليه بأنَّ الإسلام طوال قرونٍ طِوال مادة للانتقاص والتعريض، وبالنتيجة ضاعت الحقيقة. وأكَّد ريلاند بأنَّ علينا نتقصَّى آثار الحقيقة حتَّى نجدها ونتبعها. الأمر الذي أدَّى إلى طرح سؤال ثوري: بماذا يؤمن المُسلمون حقاً؟ وللإجابة على هذا السؤال يرى ريلاند أنه يجب الاستناد على كتابات المُسلمين أنفسهم والتي يعتبرونها كتابات ذات سلطة عليهم، وفي المرتبة الأولى المخطوطات العربية.

في البدء اعتمد ريلاند على المخطوطات التي تخص العقائد الإسلامية وبقية التعاليم الإسلامية القادرة على رسم صورة موثوق بها. من جانبٍ آخر أخذ ريلاند ينتقد الصور السائدة عن الإسلام في الغرب والتي سمَّاها (تقييمات) ضد الإسلام.

المُستشرق دي خويه

في ١٨١٣م، أي في القرن التاسع عشر، تحرَّرت جمهورية هولندا من قبضة نابليون لتصبح مَلكية دستورية. وقد شَهِد هذا القرن فيما يتعلَّق بموضوعنا اهتماماً متزايداً بالأدب العربي، بعد أن تُرجمت إلى الفرنسية والإنجليزية أعمال أدبية نذكر منها تخصيصاً كتاب (ألف ليلة وليلة). ومن الأسماء البارزة في تلك المرحلة نجد هاماكر Hamaker، وفِييرْسْ Weijers، وياوَنْبول Juynboll، ودوزي Dozy، ودو خويهْ De Goeje. وقد اهتم دوزي بالأندلس والحضارة الإسلامية، بينما انشغل دو خويهْ وياوَنبولْ وفييرْسْ بالأدب

العربي، وهاماكر بالأدبين العربي والأندلسي.

في القرن التاسع عشر برز المُستشرق مِخيل[٨] يان دي خويه Michael Jan de Goeje (١٨٣٦-١٩٠٩). ولد في قرية دروريب Drourijp الواقعة في مقاطعة فريزلاند شمالي هولندا. دخل جامعة لايدن عام ١٨٥٤، حيث تخصَّص في الدراسات الشرقية على يدِ كبار المُستشرقين مثل رينهارد دوزي، ومن تلامذته تيودور يونبول Theodor Willem Juynboll (١٨٦٦-١٩٤٨)، وخِرلوف فان فلوتن Gerlof van Vloten (١٨٦٦-١٩٠٣). حصل على الدكتوراه عام ١٨٦٠ برسالتهِ الموسومة: (نموذج من الكتابات الشرقية في وصف المغرب.. مأخوذ من كتاب البلدان لليعقوبي).

لقد فتحت رسالته الآفاق أمامه لولوج ميدان الجغرافيا. إذ لم يكتفِ بنشر النص العربي بل أضاف إليه ترجمة لاتينية، مع مقدمةٍ جيدة عن سيرة اليعقوبي ومَن أخذ عنه من الجغرافيين اللاحقين. وزوَّد الكتاب بإيضاحاتٍ جغرافية وتاريخية عديدة ومفيدة. وقد طُبعت هذهِ الرسالة في مطبعة بريل عام ١٨٦٠. وقد كتب لها المُستشرق الألماني ثيودور نولدكه Theodor Noldeke (١٨٣٦-١٩٣٠) نقداً لها عام ١٨٦١.

في عام ١٨٥٩ عُيِّن دي خويه مساعد أمين مجموعة المُستشرق الألماني لفينوس فارنر Levinus Warner في مكتبة جامعة لايدن. وكان فارنر دبلوماسياً يمثل الحكومة الهولندية في إسطنبول عام ١٦٥٥. وخلال إقامتهِ الطويلة في إسطنبول جمع عدد من المخطوطات القيمة. وأوصى بها بعد وفاتهِ لمكتبة جامعة لايدن، وعُرفت باسم (وصية فارنر Legatum Warnerianum).

في عام ١٨٦٩ رُقِّي دي خويه إلى مرتبة أستاذ كرسي في الجامعة. ولما بلغ السبعين عاماً في عام ١٩٠٦ أُحيل على التقاعد، لكنه بقي أميناً لمجموعة فارنر. وتوفي دي خويه في ١٧ مايس عام ١٩٠٩ في مدينة لايدن.

اشتهر دي خويه بنشرهِ كتب الجغرافيا العربية لليعقوبي (توفي ٨٩٧م)[٩]، والبلاذري (توفي ٨٩٢م)[١٠]. لقد أخرج المخطوطات العربية من رفوف المكتبات إلى المطابع والجامعات ومراكز البحوث. فقد أصدر سلسلة المكتبة الجغرافية العربية في عشرة أجزاء، بين عامي (١٨٧٠-١٨٩٤)، معتمداً فيها على مخطوطات جامعة لايدن الشهيرة. شَملت السلسلة:

١- كتاب (البلدان) لليعقوبي (ت٢٨٤هـ/ ٨٩٧م). وصدر ترجمة للعربية في بغداد عام ١٩٣٨، وترجمة فرنسية في القاهرة عام ١٩٣٧.

٢- كتاب (فتوح البلدان الصغير) للبلاذري عام ١٨٧٠. ونُشر في القاهرة ثلاث مرات، بين عام ١٨٩٣ و ١٩٣١. كما نُشرت ترجمات إنكليزية وألمانية.

٣- كتاب (مسالك الممالك) للاصطخري (ت٣٥٠هـ) عام ١٨٧٢.

٤- كتاب (صورة الأرض) لابن حوقل (بدأت رحلته في سنة ٣٣١هـ) في عام ١٨٧٢.

٥- (أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم) للمقدسي، الذي وضع الكتاب عام ٣٧٥هـ/ ٩٨٥م. وقد نشره دي خويه عام ١٨٧٧، وطُبع ثانيةً عام ١٩٠٦.

٦- (التنبيه والإشراف) للمسعودي (ت٣٤٥هـ/ ٩٥٦م)، نشره عام ١٨٩٤ في لايدن. ونُشر في مصر عام ١٩٣٨، وتُرجم إلى الفرنسية.

٧- (مختارات من كتاب الخراج) لأبي فرج قدامة بن جعفر (ت٣١٠هـ/ ٩٢٢م)، الذي يعرض فيه نظام البريد والجباية والإدارة.

٨- (رحلة ابن جبير)، نشره دي خويه عام ١٩٠٧ في لايدن. أمَّا الجزء الخاص بأفريقيا والأندلس من كتاب (نُزهة المُشتاق في اختراق الآفاق) للإدريسي، فقد نشره دي خويه بالاشتراك مع دوزي بترجمةٍ فرنسية عام ١٨٦٦.

٩- كتاب (تاريخ الرسل والملوك) للطَّبري (٢٢٤-٣١٠هـ/ ٦٣٩-٧٢٣م). وهو أول مَن صنَّف تاريخاً كاملاً باللغة العربية منذ بداية التاريخ حتَّى عصره وزمنه. وقد نشره دي خويه للمرة الأولى في لايدن بين عامي ١٨٩٧– ١٨٩٨، في ١٥ مجلداً بالتعاون مع عددٍ من المُستشرقين المتخصصين في أوروبا اعتماداً وتجميعاً لمخطوطات الكتاب في مكتبات العالم. وأُضيفت له مقدمة وفهرس في لايدن عام ١٩٠١. ويُعد كتاب الطَّبري من أهم إصدارات دي خويه، ونُشر في القاهرة في ١٣ جزءاً عام ١٩١٠. ونُشرت منه موضوعات بعينها وتُرجمت إلى لغاتٍ أخرى مثل الألمانية والفرنسية والفارسية والتركية.

١٠- كتاب (الكامل في التاريخ) لابن الأثير.

١١- كتاب (تاريخ مكَّة) للأزرقي (توفِّي بعد عام ٢٢٤هـ/ ٨٥٨م)، وذلك في لايبزيغ عام ١٨٥٨.

١٢- كتاب (تجارب الأُمم) لابن مسكويه (٣٢٠-٤٢١هـ/ ٩٣٢-١٠٣٠م)، نشره في لايدن بين عامي ١٩٠٩ و ١٩١٢.

١٣- قام بوضع (تقاويم للتاريخ والجغرافية الشرقيين) في ثلاثة مجلَّدات في لايدن عام ١٨٦٢.

١٤- كتاب (المذكَّرات الشرقية التاريخية والجغرافية).

المُستشرق هيرخرونيه

ولد كرستيان سنوك هيرخرونيه Christian Snouck Hurgronje عام ١٨٥٧ في مدينة أوسترهاوت Oosterhoudt جنوب هولندا. بدأ دراسته في جامعة لايدن عام ١٨٧٤، وتخصَّص باللغات السامية، وكان من أستاذتهِ المُستشرق دي خويه، والمُستشرق الألماني

نولدكه Theodor Noldeke، وحصل على شهادة الدكتوراه من جامعة لايدن عام ١٨٨٠، وكان عنوان رسالته: (الحج المكي). صار أستاذاً ومحاضراً بجامعة لايدن عام ١٨٨١.

سفره إلى مكَّة المكرمة

في عام ١٨٨٤ سافر هيرخرونيه إلى الديار المقدسة ليحضر مراسم الحج في مكَّة المكرمة، وليتعرف على العرب والمُسلمين عن قُرب بعيداً عن آراء المُستشرقين الآخرين، وليكوِّن له انطباعه ورؤيته الخاصة بهِ. وقد غيَّر هيئته وقابل قاضي مكَّة الشيخ إسماعيل أغا وأخبره برغبتهِ بإعلان اعتناقهِ الإسلام طمعاً بنيل رضاه لدخول مكَّة. تسمَّى باسم إسلامي هو عبد الغفَّار.

التقى في مكَّة المكرمة بعددٍ من الشخصيات الإسلامية والفقهية. وأمضى في جدَّة ستة أشهر وفي مكَّة المكرمة ستة أشهر بين (١٨٨٤-١٨٨٥)، وسكن في منطقة سوق الليل جمع خلالها كثيراً عن أحوال مكَّة ضمَّنها في كتابهِ (صفحات من تاريخ مكَّة المكرمة)[١١]، الذي كتبه باللغة الألمانية، معللاً ذلك بأنها لغة مقروءة ومشهورة. تناول في الجزء الأول التاريخ السياسي لمكَّة المكرمة، وتناول الجزء الثاني الأوضاع الاجتماعية لمكَّة المكرمة في الفترة التي أقام فيها.

اضطر هيرخرونيه لمغادرة مكَّة المكرمة في ظروفٍ مفاجئة. وقيل في ذلك ثلاث روايات:

١- أنَّ أمره قد انكشف بكلماتٍ نطق بها وكيل قنصل فرنسا بجدَّة في بعض المجالس، لكنه علَّل بأنها كلمات خرجت بعفوية غير مقصودة.

٢- إنَّ سبب إخراجه هو محاولته نقل أحد الأحجار الأثرية المُسمَّاة مسلَّة تيماء من شمال غرب السعودية إلى ألمانيا.

٣- رواية تقول إنَّ مسلَّة تيماء سُرقت من قبل مستشرقيَن تنازعا ملكيتها، هما الألماني يوليوس أوتنغ والفرنسي تشارلس هوبر الذي قُتل من قبل اللصوص في مدينة جدَّة.

وكان سنوك هيخرونيه قد كتب مقالاً أوغر صدر القنصل الفرنسي في جدَّة، فوشى بهِ القنصل في صحيفة الزمان الفرنسية، واتهمه فيه بالسعي للحصول على مسلَّة تيماء الشهيرة لصالح المُستشرق الألماني. وأوضح لشريف مكَّة أنَّ هيرخرونيه قدم لمكَّة المكرمة ليس لغرض الدراسة وأداء الشعائر كما زعم، بل لهدف تجسسي استقصائي. عندها اضطر هيرخرونيه إلى مغادرة مكَّة بعد أن شعر أنه غير مرغوب بهِ هناك.

استفاد هرخرونيه من رحلتهِ إلى مكَّة بأن تعرَّف خلال هذهِ الفترة على عددٍ من الشخصيات في مكَّة، وبخاصة الذين تعود أصولهم إلى الجزر الإندونيسية. وهذا سيلعب دورًا كبيراً في دوره الخطير في إندونيسيا وحرب آتشيه. وهذا اقتباسٌ ممَّا قاله في كتابهِ صفحات من مكَّة: (لقد أقمتُ علاقات ومعارف مع

عليَّة القوم من أفراد المُجتمع المكي، ولقد سمعت بأذني ما يتعلَّمه سكَّان المدينة العالمية وما يُعلمونه لطلَّابهم، وكيف يتحدثون في أمور السياسة وأمور الفكر والثقافة، لقد درست النُّظُم المثالية والحياة الواقعية، كما درست أصول العقيدة الإسلامية والصراع من أجل البقاء، درست ذلك كلَّه وخبرته وتعلَّمته في المسجد والديوان، والمقهى، ومن واقع الحياة اليومية).

مهمة تبشيرية

في عام ١٨٨٨ أصبح هيرخرونيه عضواً في الأكاديمية الملكية الهولندية للفنون والعلوم، ثمَّ أصبح في عام ١٨٨٩ أستاذاً للغات الملايوية (التي تضم اللغات الإندونيسية والماليزية والاتشية) في جامعة لايدن. وأصبح مستشاراً للحكومة الهولندية لشؤون السكَّان الأصليين لدى الحكومة الهولندية التي استعمرت إندونيسيا من قبل. في عام ١٨٩١ غادر أروقة الجامعة والعمل الأكاديمي ليصبح مستشاراً لدى الإدارة الاستعمارية الهولندية في إندونيسيا.

أمضى هرخرونيه الفترة من عام ١٨٩١ حتَّى عام ١٩٠٦ في جزر الهند الشرقية الهولندية، كانت رحلته في البداية من باب الاستكشاف لكنها انتهت إلى خدمة الاستعمار خمس عشرة سنة كاملة.

كان أغلب الضبَّاط الهولنديين في جزر الهند الهولندية ليسوا ذوي معرفة لا بالإسلام ولا بتاريخه ولا بعادات الشعب. لذلك قام الحاكم الهولندي بالاعتماد على هيرخرونيه وعيَّنه مستشارًا لشؤون سكَّان البلد المُستعمَر بسبب خبرتهِ في اللغة العربية والإسلام.

كانت حرب آتشيه (بالإندونيسية Perang Aceh)، وهي نزاع عسكري وقع بين سلطنة آتشيه الإندونيسية المُسلمة والإمبراطورية الهولندية الاستعمارية، تعتبر هذهِ الحرب واحدة من أطول الحروب في نهاية القرن التاسع العشر وبداية القرن العشرين حيث استمرت لمدة ٤٤ سنة؛ فقد بدأت في سنة ١٨٧٣. وتمكَّنت هولندا من احتلال منطقة آتشيه في سنة ١٩٠٤ وقاموا بقتل سلطان آتشيه علاء الدين مُحمَّد داؤد صياح الثاني. وقد قُتل خلال هذهِ الحرب أكثر من ١٠٠ ألف شخص. واستمرت عمليات تمرد فردية حتَّى أواخر عام ١٩١٤.

أثنى الضابط الهولندي هيوتس (J. B. van Heutsz) على هيرخونيه، فقال بأنه لعب دوراً فعَّالاً في الشوط الأخير من حرب آتشيه١٨٩٨ -١٩٠٥، واستخدم تضلُّعه في العلوم الإسلامية لمساعدة التخطيط على تمزيق مقاومة شعب آتشيه ضدَّ المُستعمر الهولندي التي استمرت حوالي الأربعين عامًا، والتي كلَّفت من الخسائر البشرية ما يُقارب من ٥٠٠٠٠ إلى ١٠٠٠٠٠ قتيل من أهالي المنطقة المُسلمين وحوالي المليون جريح.

إستراتيجيات هرخرونيه في تمزيق المقاومة

عمل هيرخرونيه على عدَّة محاور ساهمت بشكلٍ فعَّال بتمزيق الثورة الشعبية الإسلامية القائمةً في إقليم آتشيه ضدَّ المُستعمر الهولندي، ففعل التالي:

طوَّر علاقاته التي كونها سابقًا بمكَّة، واتصل بمفتي باتافيا (جاكرتا حالياً) حبيب عثمان بن يحيى وهو من أصل عربي (١٨٢٢-١٩١٤م)، وقد أصدر حبيبُ فتوىً بدعم المُستعمر الهولندي ضدَّ المُسلمين بحرب آتشيه.

دَرَس عند علماء إندونيسيا في مكَّة المكرمة الذين أجازه بعضهم وزوَّدوه برسالة توصية لعلماء آتشيه التي كانت قد استعصت على الاستعمار الهولندي، فاستفاد من تلك التوصية في التوهين من عزيمة المُسلمين الثائرين على الاستعمار، ولم يكتفِ بذلك بل تقمَّص دور كاتب من جاوة، وأصبح يكتب في الصحف بضرورة التعايش مع الاستعمار، وعن أهمية وجوده لتقدمهم. إنَّ نجاح هيرخونيه في حرب آتشيه أعطاه الكثير من التأثير والتقدير، حيث ساهم في تشكيل سياسة الإدارة الاستعمارية في بقية أنحاء الهند الشرقية الهولندية (الآن إندونيسيا)، مع كل هذا التقدير نصائحه لم تأخذ في أحيانٍ كثيرة على محمل الاعتبار، وتطور خلاف كبير ما جعله يعود إلى هولندا في عام ١٩٠٦م. وعند رجوع هيرخونيه واصل عمله كأكاديمي سنينًا عديدة، حتَّى وفاته عام ١٩٣٦م.

زواجاته

تزوَّج مرتين في إندونيسيا وبعض المصادر تُخطئ وتزعم أنه تزوج في مكَّة:

تزوج في المرة الأولى فتاةً تُدعى ساكانا بنت الحاج مُحمَّد الطيب، وهي من عائلة نبيلة سونيدية، أبوها كان عميدًا على قرية في غربي جاوة وكان عمرها ١٧ سنة. أنجبت له أربعة من الأبناء: (عمر، أمينة، إبراهيم، سلمى). توفيت ساكانا سنة ١٨٩٦.

تزوَّج مرةً أخرى بابنة نبيلٍ من نبلاء غرب جاوة أيضًا، وهي سعدية بنت مُحمَّد شعيب، تزوَّجها سنة ١٨٩٨، وهي في الثالثة عشر من عمرها، وهو في التاسعة والثلاثين. وولدت له ابنه يوسف سنة ١٩٠٥م، وتوفيت سعدية سنة ١٩٧٤م، وأنجب يوسف عدد من الأبناء، ولا يزال أحفاد هيرخرونيه في إندونيسيا حتَّى اليوم.

كان هيرخونيه يقول دومًا عندما يُسأل عن زواجه في إندونيسيا: (إنَّ زواجه كان فرصة علمية بحثية لدراسة وتحليل مراسم الزفاف والحياة في ذلك الإقليم). وبعد عودتهِ لهولندا عام ١٩٠٦ تلقَّى عدَّة رسائل من أبنائهِ، وهذهِ الرسائل تحتفظ بها مكتبة جامعة لايدن.

السنوات الأخيرة من عمر هيرخرونيه

بعد رجوع هرخرونيه إلى هولندا قَبِل عدَّة مناصب أستاذية في جامعة لايدن،

بما في ذلك أستاذية اللغة العربية، واللغة الآتشيهية والدراسات الإسلامية. وكتب العديد من الدراسات المفصلة عن مسائل متعلِّقة بالعالم العربي والدين الإسلامي. استشاره العديد من قادة الدول الأوربية في العديد من القضايا العاجلة والمُلحَّة، وتُرجمت كتبه إلى الألمانية والفرنسية والإنجليزية.

ادعاؤه الإسلام

ادعى هيرخرونيه الإسلام غير مرة، مرةً في مكَّة والثانية عند ذهابهِ لآتشيه كشيخ شافعي تلقَّى العِلم في المسجد الحرام

لكنه اعترف بأنه تظاهر بأنه مسلم وأوضح هذا في رسالةٍ بعث بها إلى صديقه الألماني الذي زامله في الكلية المُستشرق كارل بيزولد (١٨٥٩-١٩٢٢) Carl Bezold في ١٨ شباط ١٨٨٦م، وهي الآن محفوظة في مكتبة جامعة هايدلبيرغ.

مؤلَّفاته

كان هيرخرونيه دؤوباً في مراجعة المؤلَّفات العربية القديمة ليعتمدها مصادر في تأصيل دراساتهِ[١٢]، وهذا أهم ما كتب:

١- كتاب صفحات من مكَّة.

٢- هولندا والإسلام.

٣- ستة مجلَّدات، طبعها سنة ١٩٢٣_١٩٢٧ في (الإسلام وتاريخه)، و (الشريعة الإسلامية)، و (بلاد العرب وتركيا)، و (الإسلام في المهاجر الهولندية)، و (اللغة والأدب).

٤- كتب في (مجلَّة العالم الإسلامي) التنصيرية.

٥- ا(لثورة في الجزيرة العربية): حول نشأة ثورة العرب ضدَّ الإمبراطورية العثمانية أثناء الحرب العالمية الأولى.

٦- كتب أكثر من (١٤٠٠) ورقة استشارية لم يُنشر منها إلَّا (٢٢٥) ورقة بخصوص الوضع في آتشيه ووضع الإسلام في جزر الهند الشرقية الهولندية، وما مدى تأثيره على السياسة الاستعمارية.

٧- (أطلس صور التقطها في مكَّة المكرمة).

وكان هيرخرونيه قد التقى في مكَّة بطبيب اسمه عبد الغفَّار بن عبد الرحمن المكي، وعلَّمه كيفية التقاط الصور. ولذلك فكثير من الصور التقطها هذا الطبيب.

المُستشرق دوزي

ولد رينهارت دوزي Reinhart Pieter Anne Dozy في ٢١ شباط ١٨٢٠ في مدينة لايدن، من أسرةٍ فرنسية الأصل من فالنسيين، بروتستانتية المذهب. عُرفت بحب الاستشراق، وكانت تُسمَّى بآل دوزي، وله بآل شولتنز صِلة نسب. هاجرت أُسرته إلى هولندا في منتصف القرن السابع عشر هرباً من الاضطهاد الديني. وينحدر من أسرةٍ تصاهرت مع أسرة شولتنز Schultens التي منها المُستشرق الكبير ألبرت شولتنز

وجان جاك شولتنز.

منذ صباه الباكر أولع دوزي باللغات، وتعلَّم مبادئ العربية في المنزل، وأخذ في دراسة اللغة العربية على يدي ناظر إحدى المدارس الثانوية، قبل دخولهِ الجامعة. فلما دخل جامعة لايدن عام ١٨٣٧ واصل دراسة العربية على يدي الأستاذ فايرز Weijers، الذي كان في الوقت نفسهِ مديراً لقسم المخطوطات العربية في مكتبة لايدن. كذلك دَرَس عليه العِبرية والكلدانية والسريانية.

أبدى دوزي تفوقاً ظاهراً على أقرانهِ في اللغات والآداب الحديثة. وكان إلى تضلعه من اللغات السامية، يكتب باللاتينية والفرنسية والإنجليزية والإسبانية والألمانية والهولندية، ويوقع بالعربية ـ ريخرت دوزي. وأكبَّ على دراسة اللغة الألمانية في العصر الوسيط، فدرس ملحمة (النيبلونج)Nibelungen التي هي بمثابة (إلياذة) الألمان. وقد لقى شهرةً واسعة عادت عليه بأوسمة وألقاب وعضوية مجامع علمية وفيرة، وعدَّه أعلام المُستشرقين أول فاتح للدراسات الأندلسية، ووجدوا في آثارهِ عنها مرجعاً لتاريخها وثقافتها وحضارتها، جلته في أحسن صورة على بعض هنات حقَّقها مَن جاء بعده.

وكان أستاذه فايرز Weiyrs قد أشار عليه بموضوع بحثهِ: (أخبار بني عبَّاد عند الكُتَّاب العرب)، وأن يجعل من الملازم الست الأولى منه موضوعاً لرسالة الدكتوراه في الآداب، فحصل على الدكتوراه في أول آذار / مارس ١٨٤٤.

وكان المعهد الملكي الهولندي قد أعلن في جلستهِ بتاريخ ١٦ كانون الأول ١٨٤١، عن مسابقةٍ عامة لكتابة بحث عن (الملابس العربية لكِلا الجنسين (الرجال والنساء) في مختلف الأزمنة ومختلف البلاد). فاشترك دوزي في هذهِ المسابقة، وهو لا يزال طالباً لم يتجاوز الثانية والعشرين في جامعة لايدن، مع أنها مسابقة عامة لكل الباحثين في مختلف بلاد أوروبا. وفاز دوزي بالجائزة في ٢٠ نوفمبر ١٨٤٣. لكن هذا الكتاب لم يظهر إلَّا في ١٨٤٥، تحت عنوان: (معجم مفصل بأسماء الملابس عند العرب)، (ويقع في ٨ + ٤٤٦ ص من قطع الثُمن؛ أمستردام، ١٨٤٥)، وقد كتبه باللغة الفرنسية التي ستكون لغته الأولى فيما يكتب من أبحاث وكتب.

بعد فوزهِ بالجائزة ترجم دوزي كتاب (تاريخ بني زيان في تلمسان)، وكان مخطوطاً، وزوَّده بتعليقات، ونشر الترجمة مع تعليقاتها في عددٍ من المجلَّة الآسيوية JA (مايس وحزيران ١٨٤٤)[١٣].

وفي صيف ١٨٤٤ قام بصحبة زوجته الهولندية لقضاء شهر العسل في ألمانيا، فوصل إلى مدينة غوتا Gotha وفيها مكتبة حافلة بنفائس المخطوطات العربية النفيسة. فأقام في غوتا ثمانية أيام، وتردَّد على هذهِ المكتبة فاكتشف فيها وجود الجزء الثالث من (الذخيرة في أخبار

الجزيرة) للمؤرخ الأندلسي ابن بسَّام الشنتريني (٤٥٠-٥٤٢هـ/ ١٠٥٨-١١٤٧م)، وكان فهرس المكتبة قد ذكره على أنه مجلَّد ممزق من (نفح الطيب) للمقري. وقد وجد دوزي في هذا الجزء الثالث من (الذخيرة) لابن بسَّام معلوماتٍ نفيسة جديدة في الروايات العربية عن السيد القمبيطور رودريغو دياز دي بيبار Rodrigo Diaz de Vivsr (١٠٤٥-١٠٩٩) المحارب المسيحي الذي حارب إلى جانب العرب في إسبانيا. وحصل دوزي على إذن من المكتبة باستعارة هذا المخطوط وكثير غيره. وزار أيضاً ليبتسك حيث تعرَّف إلى المُستشرق الألماني واللغوي العظيم هينريخ لبرخت فليشر Fleischer (١٨٠١-١٨٨٨).

وفي السنة التالية، عام ١٨٤٥، سافر دوزي إلى إنجلترا، ابتغاء أن ينسخ المواضع التي تهمه من المجلَّد الثاني من (الذخيرة) الموجودة في أكسفورد، وهي مواضع تتعلَّق ببني عبَّاد. وفي الوقت نفسهِ قام بنسخ صفحاتٍ أخرى من المخطوطات العربية في أكسفورد ولندن، كما أنه اطلع على بعض المخطوطات (الهولندية) الراجعة إلى العصور الوسطى؛ واكتشف الكثير من المؤلَّفات، خصوصاً قصيدتين طويلتين، في مخطوطٍ في أكسفورد، لم يكن عنواناها معروفين في هولندا. ونشر نتائج هذهِ الرحلة العلمية ضمن (منشورات اتحاد تشجيع الآداب الهولندية)، ١٨٤٥.

وفي ١٨٤٦ صدر الجزء الأول من كتابهِ: (أخبار بني عبَّاد عند الكُتَّاب العرب) (لايدن، عند الناشر Brill). وصدر الجزء الثاني في ١٨٥٢ (لايدن، بريل، في ٢٨٧)، والجزء الثالث في ١٨٦٣، وفيه أكمل وصحَّح ما في الجزءين الأول والثاني (لايدن، ١٨٦٣، ويقع في ٨ + ٢٥٠ص). وهذا الكتاب بأجزائهِ الثلاثة لا يزال أوسع بحث عن بني عبَّاد، ملوك أشبيلية.

وعُيِّن دوزي في ١٨٤٦ محافظاً مساعداً للمخطوطات الشرقية؛ وكُلِّف بتصنيف فهرس لها.

وكان قد أعلن في ديسمبر ١٨٤٥ عن مشروع لتحقيق نصوص عربية، فاشترك في اقتناء ما يصدر منه عدد وافٍ لتغطية نفقات المشروع، إلى جانب ما قُدم إلى المشروع من منح. وأصدر دوزي أول كتاب، وهو: (شرح تاريخي على قصيدة ابن عبدون، تأليف عبد الملك ابن بدرون الحضرمي (ت١٢١١م)، وهو تحقيق يُنشر لأول مرة لـ(شرح ابن بدرون على قصيدة ابن عبدون). وقد صدَّره بمقدمةٍ رصينة، وزوَّده بتعليقات وفهرس، وصدر في مجلَّد من حجم الثُمن في ١٨٤٦ـ١٨٤٨، لايدن، عند الناشر بريل Brill في ١٢٨+٣٢٢ صفحة. وقصيدة الشاعر الأندلسي ابن عبدون الفهري (١٠٥٠-١١٣٥م)، تدور حول سقوط دولة الحفصيين، أمراء مدينة بطليوس Badajoz الأندلسية.

وتلا ذلك بكتابٍ عنوانه: (تعليقات على بعض المخطوطات العربية)، عام ١٨٤٧ـ١٨٥١ (لايدن بريل في ٢٦٠ص). وفي هذا الكتاب نشر دوزي فصولاً مستخلصة من كتاب (الحُلَّة السِّيَراء) للمؤرخ والشاعر الأندلسي ابن الأبار (٥٩٥-٦٥٨هـ/ ١١٩٩-١٢٦٠م)، تتعلَّق بالتاريخ السياسي والأدبي للمُسلمين في إسبانيا. و (الحُلَّة السِّيَراء) يحتوي على تراجم لأشخاص من القرن الثاني حتَّى القرن السادس للهجرة، يتخلَّلها إيراد لأشعار. وتلاه (تاريخ الموحدين) للمؤرخ المغربي عبد الواحد المراكشي (٥٨١-٦٤٧هـ/ ١١٨٥-١٢٥٠م). وقد نُشر على حساب اللجنة الإنجليزية لنشر النصوص الشرقية، لايدن، ١٨٤٧ (عند الناشر لوختمانس Luchtmans، ويقع في ٢٢+٢٩٠ص).

وأخذ في نشر عدَّة مقالاتٍ، نذكر منها:

١- (رسائل عن بعض الكلمات العربية)، الموجودة في الفصل ٦٢٤ من التاريخ الكتالوني، تأليف آن رامون مونتانر En Ramon Muntaner (المجلة الآسيوية، أغسطس، ١٨٤٧).

٢- (ثلاث مقالات طويلة) عن الأدب الإسباني في العصر الوسيط (في مجلَّة هيس ١٨٤٨).

٣- تحليل لمقالة كتبها المُستشرق الفرنسي جارلس فرانسوا دفرمري Charles Francois Defrèmery (١٨٢٢-١٨٨٣)، عن (أسراء الأمراء)، في (المجلَّة الآسيوية، عدد تشرين الثاني - كانون الأول ١٨٤٨).

أمَّا النصوص والدراسات، فقد نشر:

١ـ (البيان المغرب في أخبار الأندلس و المغرب)، للمؤرخ ابن عذاري المراكشي (ت٦٩٥هـ/ ١٢٩٥م)، محققاً لأول مرة، مع مقتطفات، من تاريخ عريب بن سعيد القرطبي (ت٩٧٩هـ/ ١٥٧١م)، في جزءين، وتقع مقدمته بالفرنسية في ١١٩ص، وذيله بمعجم في ٤ص؛ أمَّا النص العربي فيقع في ٦٤٩ص. (لايدن، بريل، ١٨٤٨ـ١٨٥١).

وصدَّره بمقدمة فرنسية، وذيَّله بمعجم، وحقَّقه على مخطوطةٍ بمكتبة الأسكوريال El Escorial في مدريد (١٨٤٨ـ١٨٥١)، وقد نقله إلى الفرنسية واستدرك عليه المُستشرق الفرنسي إدموند فانيان Edmond Fagnan (١٨٤٨-١٩٣١م)، في جزءين، الجزائر ١٩٠١ـ٤، ثمَّ صحَّحه المُستشرق الفرنسي ليفي بروفنسال Evariste Levi Provencal (١٨٩٤-١٩٥٦)، وكولين، ونشر ليفي بروفنسال الجزء الثالث منه (باريس ١٩٣٢، لايدن ١٩٣٤).

٢ـ (أبحاث في التاريخ السياسي والأدبي لإسبانيا خلال العصر الوسيط)، ج١، عام ١٨٤٩ (لايدن، بريل، في ١٢+٧١١). وأعاد طبعه مرةً ثانية معدَّلة جداً، في مجلَّدين ١٨٦٠. و صحَّح فيه كثيراً من الأخطاء التي وقع

فيها الباحثون الأوروبيون الذين كتبوا عن تاريخ المُسلمين في إسبانيا. وفيه فصل جيد عن السيد القمبيطور رودريغو دياز دي بيبار Rodrigo Diaz de Vivsr (١٠٤٥-١٠٩٩). حاول دوزي أن يحلَّ كل المشاكل التاريخية والنقدية والأدبية، التي تتعلَّق بوجود هذهِ الشخصية الغريبة والمصادر التي امتنع عنها المؤرخون السابقون عليه.

٣- كلِّف بعمل فهرس للمخطوطات العربية في مكتبة لايدن. فقام بهذهِ المهمة، وصدر الجزآن الأول والثاني بعنوان: (فهرس المخطوطات الشرقية في مكتبة أكاديمية (جامعة) لايدن)، وذلك في عام ١٨٥١، لدى الناشر بريل.

٤- عُيِّن دوزي مساعداً إدارة مخطوطات مكتبة لايدن الشرقية، فقام بوضع فهرسين لها. ثمَّ عُيِّن أستاذاً للعربية في جامعة لايدن (١٨٥٠-١٨٧١) فجعل من كرسيه أكبر داعية لها. وكتب عن ابن رشد والرشدية في الرد على المؤرخ الفرنسي إرنست رينان Ernest Renan (١٨٢٣-١٨٩٢) في (المجلَّة الآسيوية ١٨٥٣). وكتب تعليقاً عن رحلة ابن بطوطة لناشريها المُستشرق ش. ف. ديفريميري، والمُستشرق ب. ر. سانجينتي (حوليات غوتنجين ١٨٦٠)، وعلى إثر ثورة عام ١٨٧٨ انتُدب لتدريس التاريخ العام في الجامعة، فأسف عليه المُستشرقون.

٥- كان دوزي من أتباع الحزب الليبرالي الهولندي، فصار رئيسه هـ. توربكه Thorbeckeأستاذ القانون في جامعة لايدن، وزيراً للداخلية، وكان يعرف دوزي لأسباب حزبية. فأنقذ دوزي من عملهِ في قسم المخطوطات، الذي لم يكن راتبه فيه إلَّا ثمانمائة فلورين سنوياً، وعيَّنه أستاذاً لكرسي التاريخ العام الذي كان شاغراً، وذلك في مُستهل ١٨٥٠. وكانت محاضرته الاستهلالية، قد ألقاها في ٩ آذار ١٨٥٠، بعنوان: (في التأثير المفيد الذي كان للثورات في فرنسا، ابتداءً من ١٨٧٩، على دراسة تاريخ العصر الوسيط). وقد نُشرت هذهِ المحاضرة في (حوليات الجامعات).

٦- ابتداءً من عام ١٨٥١ وطوال عشر سنوات تفرغ دوزي لتأليف كتابه الأساسي، وهو: (تاريخ المُسلمين في إسبانيا)، ويمتد من بداية فتح الأندلس حتَّى مجيء المرابطين، أي من سنة ٧١١ إلى سنة ١١١٠م. ويقع في ٤ مجلَّدات، تستغرق ٨+١٤٦٠ص. وقد صدر ١٨٦١ لدى الناشر بريل Brill في لايدن.

وقد رجع دوزي إلى أغلب المخطوطات المتعلِّقة بتاريخ المُسلمين في إسبانيا، والموجودة في أوروبا. يقول في المقدمة: (بذلت وسعي في أن أعرض ـ بأوسع تفصيل ـ الأحوال التي بدت لي ممثلة خير تمثيل للعصور التي تناولتها، ولم أتردد أحياناً في أولئك الذين يعتقدون أنَّ الباحثين كثيراً ما ينسون هذهِ الألوان العابرة، وهذهِ الحواشي الغريبة، وهذهِ المناظر الأخلاقية

التي بدونها يكون التاريخ الكبير شاحباً وخالياً من الطعم).

ومن هنا تراه يعرض تفاصيل عن أخلاق الناس، من شأنها أن توضح الخصائص البارزة للفترة التي عملوا فيها. ومن أجل فهم تاريخ المُسلمين في إسبانيا، وستستقر منها جماعات كبيرة هاجرت مع الفاتحين، تحمل معها أحقادها ومنافساتها.

في المجلَّد الأول، ويحمل عنواناً فرعياً هو: الحروب الأهلية، بين خصائص العرب، يتحدث دوزي عن نشوء الإسلام وعن المنازعات التي تلت وفاة النَّبي (ﷺ)، والتي امتدت حتَّى وصلت إلى إسبانيا بين المهاجرين إليها من القبائل العربية.

أمَّا المجلَّد الثاني، وعنوانه الفرعي: النصارى والمرتدون، فيقدم لنا صورة حيَّة عن إسبانيا في عهد الرومان والقوط الغربيين، ويتلو ذلك بالكلام عن فتح إسبانيا على يد المُسلمين بقيادة طارق بن زياد وموسى بن نصير، ويتابع تاريخ الفتح وفقاً لتسلسلهِ التاريخي.

وخصَّص الجزء الثالث لعصر (الخلافة) في إسبانيا الذي بدأ بعبد الرحمن الداخل أو الأول، ويتناول خصوصاً خلافة عبد الرحمن الثالث، والحكم. ويكرِّس فصلاً ممتازاً وأصيلاً عن المنصور بن أبي عامر.

ويبدأ المجلَّد الرابع، وعنوانه الفرعي: (الحكَّام الصغار)، من موت هشام الثالث (في عام ٤٢٧هـ/ ١٠٣٦م)، حيث بدأ انحلال سلطان العرب وتشتت المُلك بين أيدي قواد من البربر وبعض الأُسر النبيلة. وفي هذا الجزء فصل رائع عن بني عبَّاد ملوك أشبيلية، وهم الذين كرَّس لهم دوزي قبل ذلك دراساتٍ عديدة من قبل. وينتهي هذا المجلَّد الرابع، وبهِ يختم الكتاب، عند مجيء المرابطين فاتحين لإسبانيا.

ويُعد كتاب (تاريخ المُسلمين في إسبانيا) من أكبر الأعمال التاريخية التي كتبها المُستشرقون، وقد قام المُستشرق الفرنسي ليفي بروفنسال Evariste Levi Provencal (١٨٩٤-١٩٥٦) بإعادة طبعهِ وتجديده. كما ترجمه إلى الإسبانية المُستشرق الأسباني سانتياجو Santiago، مدريد، ١٩٢٠.

٧- ولما أصدر المُستشرق الاسباني فرانشيسكو خافيير سيمونت (١٨٢٩-١٨٩٧) Francisco Javier Simonet كتابه بعنوان: (وصف مملكة غرناطة تحت حكم بني نصر، استناداً إلى المؤلِّفين العرب، مع نشر نص لمُحمَّد بن الخطيب)، كتب دوزي مقالاً مهماً نُشر في مجلَّة ZDMG ١٨٦٢، صفحة ٥٨٠ وما يتلوها)، قام فيه بتصحيح نص رسالة ابن الخطيب؛ والاقتراحات التي افترضها دوزي لتصحيح مواضع من النص قد أيَّد معظمها مخطوطان آخران، راجعهما M. J. Müller ، ونشر مراجعته في كتابه Beiträge بيتراجه.

٨- وتوجه إليه الناشر الهولندي كروسمان

Krusemanليكتب الفصل الخاص بتاريخ الإسلام، في كتابٍ عن تاريخ الأديان الكبرى. فكتب دوزي هذا الفصل، بعنوان: (تاريخ الإسلام)، ويتناول تاريخ الإسلام في عهد النَّبي مُحمَّد حتَّى عام ١٨٦٣، أي العام الذي كتب فيه ونشر هذا الفصل. وهو كتاب بسيط قُصِد بهِ عامة القُراء.

٩- وألهمه ذلك كتابة كتاب عن: (اليهود في مكَّة) (١٨٦٤). وقوبل هذا الكتاب بإطراءٍ كبير في هولندا، وبحملةٍ مريرة من جانب اليهود في ألمانيا.

ويعود دوزي إلى دراساته اللغوية المعجمية، فيصدر ما يلي:

١٠- (شرح للكلمات الهولندية المأخوذة من العربية والعِبرية والكلدانية والفارسية والتركية)، ١٨٦٧.

١١- (معجم الألفاظ الإسبانية والبرتغالية المأخوذة من اللغة العربية). (لايدن، عند الناشر بريل، ١٨٦٩).

١٢- في مقدمة هذا الكتاب الأخير يتحدث دوزي عن مشروع كتاب يشتغل فيه، يهدف منه إلى إعادة كتابة كتاب: (المعجم العربي Vocabulista Aravigo)، تأليف بطرس القلعاوي Pedro de Alcala، لكنه بدلاً من ذلك، رأى من الأفضل أن ينشر ما جمعه من تعليقاتٍ لغوية ليُكمل بها المعاجم العربية المعروفة. وهذهِ التعليقات تتعلَّق خصوصاً باللهجات المحلية العربية في إسبانيا وشمالي إفريقية.

فكان عن ذلك كتابه العظيم الثاني، وهو (تكملة (أو: ملحق) المعاجم العربية Supplèment aux dictionnaires Arabes) في جزءين.

وهذا المعجم مفيد للغاية، خصوصاً في فهم النصوص التاريخي والجغرافية الخاصة بالمؤلفين الأندلسيين والمغاربة. فهو يورد اللفظ ـ حسب الترتيب الأبجدي العربي ـ ويتلوه بشرح المعاني التي استعمل بها، لدى مختلف المؤلفين وأحياناً بحسب البلدان والمناطق، ويزود هذا كله بإشارات إلى المواضع في المؤلفين العرب، التي ورد فيها هذا الاستعمال. وهذهِ الألفاظ التي يوردها هي إمَّا كلمات عامية، أو كلمات عربية فصيحة لكنها استُعملت بمعانٍ غير تلك الواردة في المعاجم العربية الفصيحة، مثل: (لسان العرب)، أو (الصِحاح)، إلخ. وغالبية هذهِ الألفاظ أو استعمالاتها، تتعلَّق بما يُعرف باسم ألفاظ الحضارة: أي الصناعات، والحياة اليومية، والأدوات، والحِرف المختلفة.

أمَّا المقالات التي كتبها دوزي في نقد الكتب فعديدة، ومهمة، أهمها:

١٣- نقد ترجمة المُستشرق الفرنسي البارون ماكغوكن دي سلان (١٩٠١-١٨٧٨) de BaronMac-Gukin Slane لمقدمة ابن خلدون، ويقع في ٨٠ صفحة، ونُشر في (المجلَّة الآسيوية)، عدد آب، وأيلول ١٨٦٩.

١٤- نقد كتاب المُستشرق الألماني

ماكس جوزيف موللر (١٨٢٣-١٩٠٠)، بعنوان: (إسهامات في تاريخ العرب المغاربة M. J. Jüller: Beiträge Zur Geschichte der Westilchen Araber ونُشر في مجلَّةZDMG عام ١٨٦٦، ص٦١٤ وما يتلوها.

١٥- نقد لرسالتي المؤرخ الفرنسي أرنست رينان: (ابن رشد والرشدية) و (الفلسفة المشائية عند السريان)، نُشر في المجلَّة الآسيوية، عدد تموز ١٨٥٣.

١٦- نقد لنشرة وترجمة (رحلة ابن بطوطة)، التي قام بها المُستشرق الفرنسي جارلس فرانسوا دفرمري Charles Francois Defrèmery (١٨٢٢-١٨٨٣)، وسانغوينيتي Sanguinetti إلى الفرنسية. ونُشر في «حوليات جيتنجن»، عدد ٢٥ شباط ١٨٦٠. وتعاون دوزي مع دي خويه، في نشر وترجمة كتاب الإدريسي (نزهة المُشتاق في اختراق الآفاق)، مع تعليقاتٍ ومعجم، ١٨٦٦. وتوفي دوزي في لايدن ١٨٨٣[١٤].

ونشر بمعاونة المُستشرق الفرنسي غوستاف ديجا Gustave Dugat (١٨٢٤-١٨٩٤)، والمُستشرق الألماني لودوف كريل L. Krehl، والمُستشرق الإنكليزي وليم رايت William Wright (١٨٣٠-١٨٩٩):

١٧- الجزءان الأولان من (نفح الطيب) للمقري، بمقدمةٍ فرنسية تضمَّنت ترجمة المؤلِّف وقيمة كتابه، في ١٨٧٦ صفحة (لايدن ١٨٥٥-١٨٦١).

ومن آثارهِ:

١٨- إسبانيا في عهد كايرو كارلوس الثالث Cairo Carlos III (حكم ١٧٥٩-١٧٨٨) (١٨٥٨).

١٩- مملكة غرناطة (المجلَّة الشرقية الألمانية ١٨٦٢).

٢٠- (تاريخ الإسلام من فجرهِ حتَّى عام ١٨٦٣)، كتبه بالهولندية (لايدن ١٨٦٣، وقد نقله إلى الفرنسية المُستشرق البلجيكي فكتور شوفين Victor Chauvin (١٨٤٤-١٩١٣)، لايدن ١٨٧٩).

ونشر بمعاونة دي خويه:

٢١- الجزء الخاص بأفريقيا والأندلس من (نُزهة المُشتاق) للإدريسي، بالاعتماد على مخطوط المكتبة الأهلية في باريس، متناً وترجمة فرنسية، مع مقدمة وشروح وفهارس بعنوان: صفة المغرب والسودان، (لايدن ١٨٦٦).

وبمساعدة المُستشرق الألماني ماكس جوزيف موللر M. J. Muller (١٨٠٩-١٨٧٤)، نشر ما يأتي:

٢٢- (تاريخ العرب السياسي والأدبي في الأندلس)، من جملة تواريخ، ولاسيَّما من الحلَّة السيراء لابن الأبار (ميونيخ ١٨٦٦ـ١٨٧٨).

٢٣- أتم (معجم الألفاظ الاسبانية والبرتغالية من أصلٍ عربي) للمُستشرق الهولندي إنجلمان W. H. Engelmann (لايدن ١٨٦٩).

٢٤- كتب بحثاً عن المؤرخ والطبيب الأندلسي عريب بن سعيد الكاتب (توفي عام ٣٦٩هـ/ ٩٧٩م)، وربيع بن سعيد الأسقف

(المجلَّة الشرقية الألمانية ١٨٦٦).

٢٥- نشر تعليقاً على مقدمة ابن خلدون (١٣٣٢-١٤٠٦م) ـ التي نشرها المُستشرق الفرنسي ماك جوكان دي سلان (١٨٠١-١٨٧٨) ـ في ثمانين صفحة (المجلَّة الآسيوية ١٨٦٩).

٢٦- كتب خطاباً إلى المُستشرق الألماني هاينريخ لبرخت فلايشر (١٨٠١-١٨٨٨) عن الطبعة العربية لكتاب (نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب) للمقري التلمساني (١٥٧٧-١٦٣٢م)، الصادرة في (لايدن ١٨٧١).

٢٧- نشر (تقويم قرطبة) لعام ٩٦١م، بترجمة لاتينية (لايدن ١٨٧٣).

٢٨- كتب ذيلاً للمعاجم العربية، وهو من خيرة المُصنَّفات، في جزءين، من ١٧١٩ صفحة، بالفرنسية (لايدن ١٨٧٧ـ١٨٨١، لايدن ـ باريس ١٩٢٧). وقد نشرته دار الرشيد في وزارة الثقافة العراقية عام ١٩٨٠ من قبل الدكتور مُحَمَّد سليم النعيمي[١٥].

هذا عدا ما كتبه عن الأمراء والمؤرخين والأدباء، وأصل الكلمات العربية والألفاظ الدخيلة عليها، وغيرها[١٦].

الجدير بالذكر أنَّ الأمير سعود بن عبد العزيز (الملك سعود لاحقاً) (١٩٠٢-١٩٦٩) قد زار جامعة لايدن بتاريخ ١٣ حزيران ١٩٣٥، واطلع على نفائس مكتبتها، وحديقة هورتوس التي تضم نباتات من العالم العربي. والتقى الأمير السعودي بالمُستشرق سنوك هيرخرونيه في منزلهِ، وتناول الشاي معه.

إنَّ الدور الذي لعبته مدرسة الاستشراق الهولندية في حفظ المخطوطات العربية كان مؤثراً، في ظل قلَّة الدراسات العربية التي عُنيت بهذا الدور. إذ يقتصر عدد الدراسات الصادرة في هذا الموضوع على دراستين عربيتين لكلٍّ من قاسم السامرائي، ونجيب العقيقي، وتسع دراساتٍ غربية لمجموعةٍ من المُستشرقين، نذكر منهم، على سبيل المثال لا الحصر، المُستشرقين الهولنديين: يان نات، يان فوغل، يان بروجمان، فرانك شرودر، وغيرهم.

الاستشراق الهولندي المُعاصر

بعد الحرب العالمية الثانية (١٩٣٩-١٩٤٥)، وتأسيس منظَّمة الأُمم المتحدة عام ١٩٤٥، والإعلان العالمي لحقوق الإنسان عام ١٩٤٨، تغيرت نظرة المُجتمع الدولي والشعوب حول كثيرٍ من المفاهيم القديمة التي سادت سلوك ومواقف الدول. وكانت حركة الاستشراق قد تأثرت كثيراً بهذهِ المفاهيم الجديدة، التي لا بدَّ أن تتكيَّف معها وتغير مناهجها في التعامل مع الشعوب وعقائدها وعباداتها وحرية ممارستها، هذهِ العوامل هي:

١- نبذ الاستعمار وأفكاره وهيمنته وظلمه للشعوب المُستعمَرة. وكانت هولندا متورطة بحركة الاستعمار منذ تأسيسها لشركة الهند الشرقية الهولندية عام ١٦٠٢، واستعمارها

لإندونيسيا المُسلمة، ثمَّ نيلها استقلالها عام ١٩٤٩. كما تصاعدت حركة التحرر الوطني وجلاء القوات الأجنبية وتأسيس حكوماتٍ يُديرها أبناء البلدان المُستعمَرة.

٢- تضاؤل ونبذ حركة التبشير المسيحي التي رافقت الاستشراق الأوربي ومنها هولندا. وكان قسم من المُستشرقين مشغولين بدوافع تبشيرية كالتشكيك بنبوة النَّبي مُحمَّد (ﷺ)، والتشكيك بصحَّة القرآن الكريم، وإرجاع الإسلام إلى مصادر يهودية ومسيحية، واعتماد الأحاديث الضعيفة والأخبار الموضوعة وتشويه تعاليم الإسلام، وتعدد الزوجات ودفع المهور والعبيد والجواري، وغيرها.

٣- تصاعد المطالبة بحقوق الإنسان واحترام حقوق وحريات الشعوب وقومياتها وأديانها ومذاهبها ولغاتها وتراثها الشعبي وعاداتها وتقاليدها، وما أكَّد عليه الإعلان العالمي لحقوق الإنسان الصادر عام ١٩٤٨.

٤- انحسار المد العنصري والقومي الأوربي الذي كان يُنادي بحضارة الرجل الأبيض والجنس الآري والعقلية السامية الساذجة لدى العرب، والتي تبنَّاها بعض المُستشرقين، أمثال المُستشرق الفرنسي إرنست رينان (١٨٢٣-١٨٩٢)، والمُستشرق والمبشر الأمريكي صمويل مارينوس زويمر (١٨٨٧-١٩٥٢).

الميل نحو المنهجية والإنصاف

منذ منتصف خمسينيات القرن العشرين اتسم الاستشراق الهولندي بالميل نحو تطبيق المناهج العلمية في البحث والدراسة عن الإسلام والمُسلمين. وصارت تميل إلى دراسة الإسلام من مصادرهِ ومؤلَّفات المُسلمين من فقهاء ومؤرخين ومفسرين. وصار احترام النص القرآني والسُّنَّة النبوية أمراً متعارفاً. ويكون جهود المُستشرقين في البحث عن موثوقية النصوص، ووصفها ومقارنتها ومعرفة زمن صدورها وبيئتها. وصار المُستشرقون، عدا بعض الاستثناءات، يتجنبون تفسير الآيات القرآنية والأحاديث النبوية وفقاً لمزاجهم أو قناعاتهم. وصار التاريخ الإسلامي وحركة الشعوب المُسلمة وحكم الخلفاء والسلاطين من جميع الدول الإسلامية هو المجال الأرحب لاجتهاداتهم ونشر تحليلاتهم وآرائهم.

وظهر تيار جديد يتمثل بالمُستشرقين الشباب الذي تمردوا على التقليد ورفضوا الانقياد للمُسلَّمات والمقولات التي تمسك بها المُستشرقون الأوائل. فقد اتخذوا الموضوعية الصرفة في دراسة الإسلام، واعتماد مصادره ومخطوطاته آخذين بنظر الاعتبار خلفية وبيئة المؤلِّف المُسلم.

ومنذ الثورة الإسلامية في إيران وتصاعد النهضة الإسلامية في العالم، صارت مدارس الاستشراق تهتم أكثر بالإسلام المعاصر

أو الحديث Modern Islam، إلى جانب اهتمامها بالإسلام القديم أو التاريخي Historical Islam. في هولندا تأسَّست أقسام ومعاهد تهتم بالإسلام المُعاصر، وتدرس تطور مفاهيم الإسلام في قضايا الحكم والدولة ونشوء الأحزاب الإسلامية، سواءٌ المعتدلة أو الأصولية، وتصاعد الحركات السلفية والجهادية في مصر وأفغانستان والعراق وسوريا غرباً وحتَّى الفلبين وماليزيا شرقاً.

إذ تأسَّس (معهد لايدن لدراسة الدين)، و (المعهد الدولي لدراسة الإسلام في العالم الحديث بلايدن)، في جامعات لايدن وأمستردام وأوتريخت وتلبورغ ونايميخن وخرونكن وغيرها.

وبعد تصاعد هجرة المُسلمين من بلدانهم إلى أوروبا وهولندا صاروا مادةً جاهزة للفحص والتقييم. وقد أبدى المُستشرقون الهولنديون المعاصرون اهتماماً كبيراً بالأقليات المُسلمة المُقيمة في الغرب عموماً وفي هولندا خصوصاً. وصارت مشاكل المُسلمين في هولندا تحظى باهتمام الصحافة ووسائل الإعلام، إضافةً إلى مراكز البحوث والدراسات الأكاديمية. إذ بدلاً من الذهاب إلى بلاد المُسلمين لدراسة أحوالهم وطقوسهم، صاروا ميداناً وحقل تجارب للباحثين الهولنديين في علم الاجتماع وعلم النفس والأنثروبولوجيا، إضافةً إلى اهتمام المُستشرقين بقضايا مسلمي الغرب اليومية والعوائق التي تُعيق اندماجهم بالمُجتمعات الغربية.

مستشرقون معاصرون

للتعرف على الاستشراق الهولندي المُعاصر، ومجالات اهتمامه، سأتناول مجموعة من المُستشرقين الذين عاصرتهم والتقيتهم في هولندا، وتعرفت على آرائهم ومنشوراتهم وبحوثهم.

أولاً: المُستشرق رودلف بيترز

ولد رودلف بيترز Rudolph Peters في ١٦ أيلول ١٩٤٣، وتوفي في ٢٦ آذار ٢٠٢٢. دَرَس القانون في جامعة أمستردام، إلى جانب اللغات العربية والتركية. في عام ١٩٦٨ عُيِّن محاضراً في قسم اللغة العربية والدراسات الإسلامية في جامعة أمستردام. في عام ١٩٧٩ نال شهادة الدكتوراه عن رسالتهِ الموسومة: (الإسلام والاستعمار: عقيدة الجهاد في التاريخ الحديث). وأصبح بيترز مديراً للمعهد الهولندي للآثار والدراسات العربية في القاهرة للفترة ١٩٨٢-١٩٨٧. في عام ١٩٩٢ عُيِّن أستاذاً في جامعة أمستردام الحرة.

حصل بيترز عام ٢٠٠١ على زمالةٍ من المعهد الدولي لدراسة الإسلام في العالم الحديث بلايدن. كما عمل كباحث زائر بقسم دراسات الشرق الأوسط بجامعة نيويورك عام ٢٠٠٢. وكذلك في كلية الحقوق بجامعة هارفارد عام ٢٠٠٢ أيضاً. وزار نيجيريا عام ٢٠٠١ بمنحةٍ من الاتحاد الأوربي لدراسة التشريع الجنائي في ولاياتها الشمالية. وكانت جامعة أمستردام توفر له جميع إمكانيات السفر والزيارة لجمع الوثائق

والمصادر فيما يتعلَّق بالعقوبات الشرعية.

كان بيترز من الخبراء في الشريعة الإسلامية، وكذلك في التاريخ القانوني لمصر، ولكن بحوثه اهتمت بقضايا أوسع امتدت من القانون الإسلامي في نيجيريا إلى الهولنديين العائدين من داعش.

إضافةً إلى عشرات البحوث والدراسات، فقد أصدر بيترز الكتب التالية:

١- (الإسلام والاستعمار: عقيدة الجهاد في التاريخ الحديث)، (١٩٧٩).

وقد تُرجم إلى عدَّة لغات من بينها العربية. تناول الكتاب مفهوم الجهاد في التاريخ الإسلامي وأحكام الجهاد والحرب والفرار والكفَّار والأسرى والهدنة والأمان. كما قام بمسح تاريخي وجغرافي لحركات الجهاد التي قاومت الاستعمار الأجنبي مثل البريطاني في الهند، والفرنسي في الجزائر، وحركة المهدي في السودان، ومقاومة الاحتلال البريطاني بقيادة أحمد عُرابي، ومقاومة الاستعمار الإيطالي في ليبيا، و إعلان الجهاد العثماني عام ١٩١٤، إضافةً إلى المقاومة الدينية للاستعمار والصهيونية في فلسطين.

وتابع بيترز الحركات الجهادية في العصر الحالي وتعريف الجهاد من وجهة نظرها وتطبيقاتها في مواقفها ومعاركها. كما تناول مفردات دار الإسلام ودار الحرب، والعلاقات مع الأنظمة الحاكمة ومع الدول الاستعمارية.

ولكونه يُجيد العربية والإنكليزية وغيرها فقد استخدم بيترز مصادر عربية رصينة في مجالات الفقه وفتاوى الفقهاء والتفسير والتاريخ وأدبيات الحركات الإسلامية، والعلاقات الدولية في الإسلام، وفتاوى الفقهاء ومشايخ الإسلام في تركيا والهند ومصر والجزائر وغيرها.

٢- الجهاد في الإسلام التقليدي والإسلام الحديث (١٩٩٦).

٣- الجهاد: تاريخ في الوثائق (١٩٩٦).

٤- التشريع الجنائي الإسلامي بشمال أفريقيا (٢٠٠٣).

٥- الشريعة والعدالة والأمر الشرعي (٢٠٢٠).

٦- الجريمة والعقاب في الشريعة: النظرية والتطبيق من القرن السادس عشر حتَّى القرن الحادي والعشرين (٢٠٠٥).

من خلال تخصصهِ بالشريعة الإسلامية يتناول بيترز الحدود الإسلامية التي تُعاقب عليها الشريعة كحدِّ السرقة، وحد الحرابة، وحد الزنا، وحد القذف، وحد شرب الخمر، وحد الردة. كما يُشير إلى الأحكام الخاصة بالعقوبات التقديرية للمُحرمات أو الأفعال التي تهدد النظام العام أو أمن المُجتمع، والتي تُعرف بالتعزيرات. وسلَّط الضوء على فتاوى الفقهاء من مختلف المذاهب في العقوبات والحدود، ومدى اهتمام كل منطقة بهذهِ الحدود أو التغافل عنها.

من الجدير بالذكر أنَّ بيترز يهتم أيضاً

بالجانب العملي لتطبيق التشريع الجنائي الإسلامي على أرض الواقع، أي كيفية الأخذ بهِ ومدى مستوى تطبيقه بين دولةٍ وأخرى، ودور الجهات المختلفة المنوط بها تطبيق الشريعة كالقضاة والحكَّام وأولي الأمر. واعتمد على شكل المؤسَّسات القضائية التي أنشأتها الدول وتنظيمها. ولما كان من الصعب تقديم صورة شاملة تغطي العالم الإسلامي بأسرهِ من القرن الثامن إلى القرن التاسع عشر، لذلك اختار بيترز دولة معينة لدراسة التشريع الجنائي الإسلامي على أرض الوقع وهي الدولة العثمانية. ويعود اختياره لها لسببٍ يعود إلى توثيق هذا النظام المحفوظ في سجلَّات المحاكم الشرعية العثمانية، حيث تتوفر وثائق وسجلَّات تعود للقرن السادس عشر حتَّى القرن التاسع عشر ضمن نظام قضائي مستقر وفعَّال.

ويلتفت بيترز إلى التأثير الأوربي في القرن التاسع عشر على الأنظمة القانونية في العالم الإسلامي. إذ تمَّ استبدال التشريع الجنائي الإسلامي في معظم البلدان الإسلامية التي خضعت للحكم الاستعماري الغربي بقوانين عقوبات مستمدة من القوانين الغربية. وبذلك تمَّ إلغاء التشريع الجنائي الإسلامي من المحاكم القضائية في البلدان الإسلامية.

في عام ١٩٩٦ التقيت رودلف بيترز في مكتبهِ بجامعة أمستردام، حيث كنت بصدد كتابة أطروحة الماجستير حول القانون الدولي الإسلامي. وقد استقبلني برحابة صدر الباحث المنفتح. وناقشنا بعض القضايا الخاصة بالعلاقات بين العالم الإسلامي والغرب. وفي ختام اللقاء أهداني كتابه الصادر حديثاً (الإسلام والاستعمار)، وقد استفدت منه في أطروحة الماجستير.

ثانياً: المُستشرق شورد فان كوننكزفيلد

ولد شورد فان كوننكزفيلد Sjoerd van Koningsveld في مدينة ليورادن بشمال هولندا عام ١٩٤٣. دَرَس الحقوق واللغات السامية وخصوصاً العربية في الجامعة الحرة بأمستردام. هذا الاهتمام المزدوج بهذين المجالين قاده إلى توجهٍ ملحوظ ليكون عالماً وأستاذاً ومفكراً. كان شورد متخصصاً بفيولوجيا philology اللغة العربية، أي العلوم اللغوية في أصول الكلمات واشتقاقها. وقام بتحرير وترجمة نصوص عربية كثيرة، وخاصةً من شبه جزيرة أيبيريا (أسبانيا والبرتغال) التي كانت تُعرف بالأندلس. كما كان ضليعاً في المخطوطات العربية، وموسوعيا كبيراً في الأدب الديني المكتوب باللغة العربية.

وكانت هناك ظروف دفعته ليغير توجهه الأكاديمي، منها حصوله على منصبٍ في مكتبة جامعة لايدن يهتم بالمحافظة علىٰ مجموعة المخطوطات العربية المحفوظة في المكتبة. في عام ١٩٧٤ انتسب لقسم الديانات كمساعد في مجال الإسلام. في عام ١٩٧٦ تمَّت ترقيته، وكانت رسالته قد قدَّمت لائحة بالكلمات

العربية – اللاتينية. ولم يعتمد المخطوطات كما هو مشهور، بل اعتمد على العلماء المسيحيين الذين رغبوا بتعلُّم العربية في الأندلس. وكانت تلك أطول مجموعة منشورات حول الإسلام في شبه الجزيرة الأيبيرية.

في سبعينيات القرن العشرين تحول اهتمام شورد نحو الإسلام والمُسلمين في هولندا. ويعود ذلك إلى هجرة جماعاتٍ كثيرة من المُسلمين إلى أوروبا جعلت دراسة الإسلام تتحول من دراسة المجال التاريخي للإسلام إلى مجال تخصصي يتوجه إلى المُجتمعات الحالية طارحاً أسئلة علمية. وهكذا صار اهتمام شورد بالقانون والسياسة والمُجتمع. وبالتعاون مع صديقه الفلسطيني القدير الأستاذ واصف شديد Wasif Shadid، أصبح أكبر رائد في مجال دراسة الإسلام والمُسلمين في أوروبا. وقد أصدر شديد وشورد العديد من الكتب في هذا المجال. الأمر الذي أدَّى إلى تأسيس علم نما بسرعة وهو دراسة (الإسلام في أوروبا). وقد تأثر بهذا الفرع الكثير من العلماء الذين صاروا يتناولون الإسلام في النقاشات العامة. وبسبب خبرته الواسعة فيما يتعلَّق بالإسلام في أوروبا تمَّ عام ١٩٩٢ تعيين شورد فان كوننكزفيلد أستاذاً للتاريخ الديني للإسلام في غرب أوروبا. وبقي يشغل هذا الكرسي حتَّى تمَّت إحالته على التقاعد عام ٢٠٠٨.

اشتهر شورد بدفاعهِ المُستمر عن المُسلمين في أوروبا. وكان يدعو لحماية المُسلمين من الإهانات العنصرية من خلال طرحهِ للنقد الديني، ودعوته لإعادة النظر بالطريقة التي تُمكن المُسلمين من ممارسة عباداتهم في ظل أوروبا العلمانية. وقد نشر العديد من الكتب والبحوث في هذا المجال حتَّى صار أشهر مستشار مطلوب مشورته، سواءٌ من الحكومة الهولندية أو من الجمعيات الإسلامية المختلفة في هولندا. كما لعب شورد دوراً محورياً في مختلف الدراسات والتدريب في مجال الإسلام في لايدن. لقد كان أستاذاً كاريزمياً وموجهاً ملهماً.

ومن خلال كونه عالماً وأستاذاً وموجهاً ومستشاراً صار ذا تأثيرٍ حيوي في التدرب والتعليم العلمي في المُجتمع الهولندي. وكان يُدعى إلى إلقاء محاضراتٍ حول الإسلام والمُسلمين في المعاهد والجامعات والمنظَّمات الهولندية المهتمة بهذا المجال، بل وحتَّى إلى الجمعيات الإسلامية والشبابية في المساجد وغيرها. وقد حضرت بعضها كمُستمع، وأخرى كمشارك معه ضمن بضعة ضيوف في أمستردام لمناقشة تطور اندماج المُسلمين بالمُجتمع الهولندي، والذي حظي بدعم مادي ومعنوي كبيرين من قبل الحكومة الهولَندية في الثمانينيات والتسعينيات. وحدَّثني المُستشرق شورد أنَّ بعض المُسلمين يعتقدون أنه اعتنق الإسلام لشدَّة تعلقه واحترامه للشخصيات الإسلامية التاريخية، إضافةً إلى فهمه وشرحه الدقيق للمُفردات والأحداث الإسلامية،

وخاصةً كلمات الفتوى والفقه والشريعة والتفسير والعلماء وغيرها بلفظها العربي الواضح. وكانوا يحاولون طرح بعض أمورهم الخاصة عليه لكنه يُجيبهم بوضوح: أنا لم أعتنق الإسلام.

وكان له حضور كبير في المؤتمرات والندوات العلمية في أوروبا وأمريكا، خاصةً وأنه يُجيد ثمانِ لغاتٍ، منها العربية والإنكليزية والألمانية واللاتينية والفرنسية والإسبانية، إضافةً إلى لغتهِ الهولندية. لقد افتقدته جامعة لايدن وبقية الجامعات والمعاهد، وكذلك زملاؤه وطلَّابه. تزوَّج شورد من الرسامة العراقية عفيفة لعيبي. وله أولاد من زوجتهِ الأولى هم ديفيد وخيس، وحفيديه فالنتاين وفلوريس.

أهم كتبه التي تشارك في تحريرها مع زميله واصف شديد، وساهم في بحوثها أساتذة آخرون، هي:

١- الإسلام في المُجتمع الهولندي: التطورات الحالية والتوقعات المستقبلية (١٩٩٢).

٢- المشاركة السياسية وهويات المُسلمين في الدول غير المُسلمة (١٩٩٦).

٣- اندماج الإسلام والهندوسية في أوروبا الغربية (١٩٩١).

٤- العلاقات الثقافية والسلطات الدينية: المُسلمون في الاتحاد الأوربي (٢٠٠٢).

٥- المُسلمون على الهامش: الاستجابة السياسية لحضور الإسلام في أوروبا الغربية (١٩٩٦).

٦- الحرية الدينية وموقع الإسلام في أوروبا الغربية: الفرص والعوائق في اكتساب الحقوق المتساوية (١٩٩٤).

٧- الحرية الدينية وحيادية الدولة: وضع الإسلام في الاتحاد الأوربي (٢٠٠١).

٨- التعليم الإسلامي في هولندا (٢٠٠٦).

٩- اعتناق المفكرين الأوربيين الإسلام: حالة المسيحي كريستيان سنوك هيرخرونيه وإلياس عبد الغفار.

١٠- الإسلام في هولندا وبلجيكا: التمأسس الديني في بلدين وتاريخ مجتمعي واحد.

١١- المُسلمون كأقلية: الشتم في الصورة الغربية للإسلام.

١٢- قام بتحقيق ونشر العديد من المخطوطات ذات العلاقة بالإسلام في الغرب والمسيحية في البلدان العربية، مثل (المخطوطات العربية المسيحية في شبه الجزيرة الأيبيرية وشمال أفريقيا)، (المخطوطات اليونانية في العصر العباسي الأول)، (مُحمَّد الأنصاري: محاولة لترجمة كاتب من الأندلس في القرن ١٥ تناول الجدل المسيحي - الإسلامي)، (إعادة فهم اللاهوت الإسلامي)، (كتاب السيف المرهف في الرد على المُصحف: دراسة تحليلية مع نص وترجمة).

١٣- دروس الإمام في عصر الرايخ

الثالث: تدريس رجال الدين المُسلمين في أوروبا في القرن ٢١.

١٤- تحقيق وتقديم وترجمة كتاب (ناصر الدين على القوم الكافرين)، لأحمد بن قاسم الحجري، المتوفى بعد ١٦٤٠م، بالمشاركة مع المُستشرق خيرارد فيخرز والدكتور قاسم السامرائي[١٧]. تضمَّن التحقيق متابعة لسيرة الحجري مستعينين بالمصادر العربية القديمة المخطوطة في أسبانيا وشمال أفريقيا. كما قدَّم التحقيق ترجمة للشخصيات الغربية التي وردت في أصل الكتاب وتصحيح الأسماء التي ذكرها الحجري بلغتهِ، مثل: (مسترضام = أمستردام، ليذه = لايدن، اشبونة = لشبونة، شنت مريا = سانت ماريا، جاوش = جاوه، مشق = المكسيك، مشقوبيه = ألمانيا، بريش = باريس، أشيه = آسيا، بلاد فلمنك = بلجيكا، فلنضس = هولندا، بدرس = بطرس، مركش = ماركيز، وغيرها).

وقد احتفت الأوساط الأكاديمية المغربية بلجنة تحقيق الكتاب. ففي ١٨ شباط ٢٠٢٠ وجَّه مركز ابن أبي الربيع السبتي للدراسات اللغوية والأدبية دعوةً لكلٍّ من المُستشرقين شورد فان كوننكزفيلد وخيرارد فيخرز وقاسم السامرائي لزيارة المركز وحضور جلسة مناقشة مع أساتذة وأكاديميين مغاربة حول الكتاب ولغته ومصطلحاته ومقارنة مع لغة المغرب المُعاصرة.

١٥- رسالة بعنوان: (الأسرى والعبيد المُسلمون في أوروبا)، تناول فيها ظروف وقصص العبيد والأسرى المُسلمون الذين تمَّ أسرهم في الحروب، ثمَّ تمَّ جلبهم إلى أوروبا ليخدموا في الكنائس أو في بيوت الرهبان والأثرياء. وكان بين بينهم هؤلاء الأسرى مثقفون ومتعلمون استطاعوا أن يناقشوا القساوسة في قضايا العقيدة والدين والفلسفة.

تجربتي مع المُستشرق شورد فان كوننكزفيلد

تعرَّفت على شورد عام ١٩٩٦، عندما أردت دراسة الماجستير حول الإسلام والغرب في جامعة لايدن. أرسلت طلب الانتساب مع نسخةٍ من دراستين منشورتين لي باللغة العربية. بعد عدَّة أسابيع جاءتني رسالة من معهد لايدن لدراسة الدين تتضمَّن قبولي بالماجستير، وأنه لا حاجة لأداء امتحان القبول المطلوب. علمت أنَّ الدراستين اللتين أرسلتهما أعطت تصوراً واضحاً عن إلمامي بالبحوث والمنهج العلمي الذي اعتمدته.

كان شورد مسؤولاً عن دراسة الماجستير في معهد دراسة الأديان في جامعة لايدن، وكانت الدراسة باللغة الإنكليزية. وكان المنهج يتضمَّن دروساً في التاريخ الإسلامي والمخطوطات الإسلامية والإسلام المعاصر في أوروبا والعالم والفتاوى الفقهية وتأثيرها في المُجتمعات الإسلامية ودورها في النهضة الإسلامية والمواقف العامة تجاه التحديات.

وكنت أراجع شورد في كثيرٍ من المسائل

العلمية، وأناقش معه بعض الأفكار، ومنها عدم وجود مصادر شيعية حديثة في مكتبة جامعة لايدن. وأتذكر أنه قال: نحن المُستشرقون ندرس الإسلام السُّني وهو مذهب الأكثرية المُسلمة. كما أننا درسنا وتدربنا في دول إسلامية سُنية مثل مصر وسوريا والمغرب وإندونيسيا وغيرها. ولذلك ليس لدينا مصادر شيعية؛ لأننا لم نطَّلع عليها أو لم نُزوَّد بها من قبل الجامعات الشيعية كما تفعل الدول والجامعات السُّنية التي تُهدينا مطبوعاتها وإصداراتها بشكلٍ مستمر.

ولذلك قمت بتقديمٍ المصادر الفقهية الشيعية إلى مكتبة الجامعة. كما قدَّمتها لطلبة الماجستير العرب الذين يدرسون معي. وكان لهذهِ المبادرة أثر طيب أغنى أوراقهم البحثية وأطروحاتهم. كما أنَّ لجنة المناقشة التي ناقشت أطروحتي، أثنت كثيراً على تقديمي المساعدة وتزويد الطلَّاب الآخرين بمصادر فقهية لتخدم أطاريحهم. وقد تفاجأت بأنَّ اللجنة التي تكونت من أربعة مستشرقين كان يراقبون الطلَّاب أثناء الدراسة.

كان شورد فان كوننكزفيلد أستاذاً مربياً ذا أدبٍ عالي ومعرفةٍ موسوعية في الإسلام. وكانتٍ نقاشاته علمية بحتة، ولم أشعر يوماً بتلميح مسيحي أو إساءة للإسلام والمُسلمين. كان ينقد الأفكار المبنية على معلوماتٍ خاطئة أو غير دقيقة. وكان يطرح بعض شُبهات المُستشرقين بهدف الرد عليها، أو أنَّ هناك رأياً آخر للقضية موضوع النقاش.

تناقشت معه يوماً حول (نهج البلاغة)، وأنه من جمع الشريف الرضي. فقال: إنَّ الخطب وبعض العبارات لم تكن مستخدمة في صدر الإسلام في عهد الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام). فاستعنت بمنهج السيد عبد الزهرة الخطيب الذي تابع مصادر الخطب والرسائل والحكم العلوية فوجدها في كتب ومؤلَّفات سبقت تأليف نهج البلاغة، أو أنها وردت عن طرقٍ أخرى غير التي اعتمدها الشريف الرضي.

كان شورد لا يُخفي إعجابه بكتاباتي وبحوثي التي قدَّمتها في الماجستير. وعندما كان يمنحني تسعة من عشرة كدرجة تقييم، كان بعض الطلَّاب يطالبونه بمنحهم درجاتٍ عالية مثل صلاح عبد الرزاق، وليس ست أو سبع درجات. فكان يرد عليهم: إنَّ ما يقدمه عبد الرزاق ذا مستوى عالٍ، فإذا منحتكم تسع درجات، فكم أمنح عبد الرزاق؟ ١٢ أم ١٥ درجة؟

وإضافة إلى الكورسات المطلوبة في الماجستير، كانت هناك ورقتان بحثيتان:

١- الأولى، مناقشة فتوى تاريخية تتناول تأثيرها الاقتصادي والاجتماعي على المُجتمع التي صدرت فيه. وعرضت علينا فتاوى مصرية قديمة مثل تحريم شراء الجبن الرومي، المستورد من أوروبا، ومنع استخدام الورق (الكاغد) القادم من أوروبا. لقد وجد أنَّ هذهِ

الفتاوى وأمثالها غير مقنعة لغرض دراستها. كما أنَّ بقية الطلَّاب قد يختارونها لورقتهم البحثية. كنت أريد فتوى تاريخية من بلدي العراق الذي يختزن الحوزات العلمية والمراجع العظام والفقهاء الكبار. ولذلك اخترت فتوى الجهاد للسيد كاظم اليزدي. لقد كانت دراسة تاريخية وسرد لدور العلماء والمرجعية في المُجتمع العراقي، إضافةً إلى سيرة السيد اليزدي ودراساته ومرجعيته.

ومن المشاكل التي واجهتني في دراسة فتوى السيد اليزدي:

أ- أنه توجد عدَّة نسخ بالجهاد مبثوثة في الرسائل والبرقيات وغيرها.

ب- هذا الاختلاف في النسخ بحاجة إلى تصحيح وضبط الآيات القرآنية والتصحيف الذي تعرَّضت له بعض الكلمات والعبارات.

ج- إنَّ الفتاوى والرسائل غالباً ما افتقدت لتاريخ صدورها أو كتابتها. فكان عليَّ استخدام النقد النصي لمقارنتها مع بعضها، أو الحوادث الواردة فيها، لغرض تحديد تاريخها ومكانها والأشخاص المخاطبين فيها.

لقد تجاوزت الورقة على المائة صفحة، وهي بذلك أكبر من المطلوب بخمس مرات. وبعد سقوط النظام وعودتي إلى العراق قمت بترجمتها إلى العربية وطباعتها بكتاب أنيق، وأعطيتها عنوان: (المرجعية والاحتلال الأجنبي: دراسة في فتاوى السيد كاظم اليزدي ضدَّ الغزو البريطاني عام ١٩١٤).

كما ألهمتني هذهِ الورقة عنوان أطروحتي للماجستير: (العالم الإسلامي والغرب: دراسة في القانون الدولي الإسلامي). وقد ناقشت فيها أحكام الجهاد وأنواعه وظروفه، وظاهرة الاستعمار الغربي وحركات المقاومة، والعلاقات بين الدول المُسلمة والغرب، وشرعية الدول الإسلامية الحديثة، وشرعية الانتماء للأُمم المتحدة، والتحاكم إلى محكمة العدل الدولية. وقد ناقشتني لجنة تتكون من ثلاثة مستشرقين، إضافةً إلى أستاذي المشرف شورد فان كوننكزفيلد. وتمَّ منحي درجة الامتياز.

٢- ورقة بحثية عن عمل ميداني يخص الإسلام في الغرب والأقليات المُسلمة وغيرها. وقد اخترت ميدان تحول الغربيين إلى الإسلام واعتناقهم لتعاليمه وعقائده وعباداته، وهي ظاهرة متنامية في الغرب بدأت مع الصحوة الإسلامية وانتصار الثورة الإسلامية في إيران عام ١٩٧٩.

كان العمل ينقسم إلى قسمين: نظري وقراءة المصادر والنظريات المتعددة حول ظاهرة اعتناق الإسلام في الغرب، والتحول الديني عموماً.

والقسم الآخر ميداني ويتركَّز على إجراء مقابلاتٍ لأشخاص مسيحيين في هولندا اعتنقوا الإسلام. وقد قابلت أكثر من عشرين رجلاً وامرأة حدثوني عن تجاربهم وظروفهم والصعوبات التي واجهوها والمشاكل التي

عانوا منها بعد إسلامهم. وكانت هذهِ الورقة غنية بالمصادر والنظريات. وقد ناقشت تلك النظريات وفنَّدت توجهاتها خاصَّة النفسية والاجتماعية والبيئية، ورجَّحت العامل الفكري والديني والعقائدي، إضافةً إلى عوامل أخرى سادت في أوروبا مثل اضمحلال دور الدين في المُجتمع الغربي، وفشل الكنيسة المسيحية في إقناع أتباعها، إضافةً إلى حضور المُسلمين في أوروبا واتصالهم بغير المُسلمين ونشر الإسلام، وما يتعلَّق بهِ في وسائل الإعلام.

كما قدَّمت سيرة ذاتية لأبرز الشخصيات الغربية التي اعتنقت الإسلام وكان لها دور مؤثر، مثل مُحمَّد أسد (١٩٠٠-١٩٩٢)، ومراد هوفمان (١٩٣١-٢٠٢٠)، وروجيه غارودي (١٩١٣-٢٠١٢)، وديفيد موسى بيدكوك (١٩٤٢-)، ومريم جميلة (١٩٣٤-٢٠١٢). وقد قمت فيما بعد بترجمتها إلى العربية، وأصدرتها بكتابٍ عنوانه: (اعتناق الإسلام في الغرب: أسبابه ودوافعه).

وكان لهذهِ الورقة تأثير في اختياري عنوان أطروحتي للدكتوراه، بعنوان: (المثقفون الغربيون المُسلمون ودورهم في تشكيل الإسلام الأوربي المعاصر). وقد عملت عليها أربع سنوات من السفر والسهر والتعب المُضني في جمع المصادر ومقابلة المفكرين الذين اعتنقوا الإسلام. وفي يوم المناقشة حضر أحد عشر مستشرقاً يرأسهم رئيس جامعة لايدن وكذلك المشرف على الأطروحة أستاذي شورد فان كوننكزفيلد. وقد اقتضى سير العمل المناقشة أن يقوم كل مستشرق وكانت فيهم مستشرقة، بتوجيه سؤال واحد لي فأُجيبه عليه. ثمَّ مُنحت شهادة الدكتوراه بأعلى مراتبها. وقد قامت دار نشر بيترز PEETERS في بلجيكا بطباعة الرسالة، وعرضت نسخها للبيع في شركة أمازون الأمريكية الشهيرة Amazone. كما تمَّ اعتمادها ضمن مناهج الدراسة المقررة في قسم الإسلام بجامعة أوتريخت Utrecht.

ثالثاً: المُستشرق هيرمان بيك

ولد المُستشرق هيرمان بيك Herman Leonard Beck عام ١٩٥٥ في مدينة سورونغ Sorong بأندونيسيا. وكان والده مبشراً وواعظاً وممرضاً.

- ١٩٧٥-١٩٧٧، عمل معلماً في مادة الدين في التعليم الإعدادي المسيحي في لايدن.
- في عام ١٩٧٩. حصل على الماجستير عام ١٩٧٩ في جامعة لايدن، متخصصاً بالأديان المقارنة وتاريخ الدين وخاصةً الإسلام.
- ١٩٨٠-١٩٨٤ عمل مساعداً في قسم تاريخ الأديان وعلم الدين المقارن في لايدن.
- عام ١٩٨٤ أكمل الدكتوراه في جامعة لايدن عن رسالتهِ الموسومة: (إدريس الصغير الثاني والأدارسة الأشراف في فاس (بالمغرب) في العهد المريني).
- ١٩٨٥- ١٩٨٦ عمل أستاذاً مساعداً في علوم الأديان وتدريب الطلَّاب في لايدن.
- ١٩٨٧ عمل أستاذاً في (البرنامج

الهولندي - الاندونيسي للدراسات الإسلامية)، عن جامعة لايدن.

- ١٩٨٨ باحث أكاديمي في الأكاديمية الهولندية الملكية للعلوم.

-١٩٨٩-١٩٩١ أستاذ جامعي (للبرنامج الهولندي الأندونيسي للدراسات الإسلامية) التابع لجامعة لايدن الملكية والجامعة الإسلامية الحكومية ومعاهد أندونيسية أخرى.

- ١٩٩١-٢٠٠٥ أستاذ فينومينولوجيا (فلسفة علم الظواهر) Phenomenology، وتاريخ الأديان في قسم اللاهوت بجامعة تيلبورغ Tilburg University.

-٢٠٠٦-٢٠٢٠ أستاذ الدراسات الدينية وخاصةً الإسلام في قسم اللاهوت وعلوم الدين في جامعة تيلبورغ.

- كنت ألتقيه في المؤتمرات والندوات العلمية، ونتبادل أطراف الحديث. فمعرفتي بهِ تعود إلى أيام دراستي في جامعة لايدن.

مؤلَّفاته

١- الانقطاع بين المُحمَّدية والأحمدية (٢٠٠٥).

٢- ما وراء العيش معاً في التشظي: المُسلمون، التنوع الديني والهوية الدينية في هولندا (٢٠١٣).

٣- الأجندة الخفية والأحكام المُسبقة الخفية؟ بناء مسجد تركي في تيلبورغ (٢٠٠٢).

٣- الممارسات العبادية الإسلامية والتعددية الطبقية في بيئة غير مسلمة: أمثلة من البيئة الهولندية (٢٠١٠).

٤- المُسلمون والحداثة (٢٠٠٥).

٥- الإسلام في إندونيسيا (٢٠١٦).

٦- عندما تصبح الجنة جحيماً (٢٠٢١).

٧- رمضان (٢٠٢٢).

٨- القبض في ومضة (٢٠١٦).

٩- السلطان إسماعيل وأحفاد الرسول: الدين والسياسة في المغرب عام ١٧٠٠ (١٩٨٩).

١٠- الدولة المُتنازع عليها للصوفية في الحداثة الإسلامية: حالة حركة المُحمَّدية القرن العشرين في إندونيسيا (٢٠١٤).

١١- ما هي السلفية (٢٠١٣).

١٢- الطهارة الإسلامية مع الهوية الجاوية (إندونيسيا).

لقائي بالمُستشرق هيرمان بيك

إلى جانب وظائفه في جامعة تيلبورغ وقيامه بالتدريس وإلقاء المُحاضرات كان هيرمان بيك يُشرف على الأطروحات والرسائل الجامعية، ومنها رسالتي في الدكتوراه الموسومة: (المثقفون الغربيون المُسلمون). فبعد الانتهاء من كتابة الرسالة وتقديمها لأستاذي المشرف شورد فان كوننكزفيلد، تقرَّر وحسب السياق الأكاديمي أن يقوم مشرف آخر من خارج جامعة لايدن بتدقيق وتقييم الرسالة. اتصلت بهِ ثمَّ التقيته في مكتبهِ بجامعة تيلبورغ. سلَّمته نسخةً مطبوعة، وأخذ يُقلب صفحاتها

مبدياً اهتمامه بالموضوع، ويتفحَّص الفهرس والفصول، ثمَّ قال: سأدرسها بتمعن وأبلغك برأيي.

بعد عدة أسابيع اتصل بي وطلب حضوري. ذهبت والتقيته، فقال: الرسالة ممتازة ولكن بحاجة إلى بعض الإضافات. يجب أن تقوم بتلخيص كل فصل وتضع الملخص في نهاية الفصل. وهكذا عُدت للعمل والكتابة حتَّى أنهيت ما طلبه مني. أعطيتها إيَّاه، وقبل استلامها وقَّع عليها إشارةً إلى أنها تضمَّنت الأمور المطلوبة. وبذلك اكتملت رسالة الدكتوراه عام ٢٠٠٢، ثمَّ أعدتها إلى جامعة لايدن لغرض تحديد موعد المناقشة في القاعة التاريخية بالجامعة.

رابعاً: المُستشرق خيرارد فيخرز

يُعد خيرارد فيخرز Gerard Wiegers أحد المُستشرقين الشباب والمختصين بمجال الإسلام في إسبانيا.

– في عام ١٩٩١ نال شهادة الدكتوراه من جامعة لايدن.

– يعمل أستاذاً للدراسات الدينية المقارنة في قسم التاريخ والدراسات الأوربية، والدراسات الدينية في جامعة أمستردام.

– متخصص بالدراسة الأكاديمية للإسلام وتاريخ الديانات في الغرب الإسلامي، أو الإسلام في أوروبا.

– عمل أستاذاً للدراسات الدينية، وخاصةً الإسلام في جامعة نايميخن Nijmegen.

– وعمل أستاذاً مشاركاً وزميل بحوث في الأكاديمية الملكية الهولندية للعلوم والفنون في جامعة لايدن.

– تركز بحوثه على العلاقات بين الإسلام وبقية الأديان في أوروبا والشرق الأوسط.

– كان مشرفاً لثمانِ رسائل دكتوراه في جامعة أمستردام، وواحدة في جامعة نايميخن.

– ولدى خيرارد فيخرز زمالة في دراسة لغات البحر المتوسط والثقافة في مدريد.

– أستاذ زائر في كلية كاته Kate للبحوث وديناميكية الجماعة في تاريخ الأديان في جامعة هامبورغ Hamburg بألمانيا. وكذلك في جامعة الرور Ruhr في بوخوم Bochum للفترة ٢٠١٣-٢٠١٤.

– واهتم كثيراً بالديناميكية بين اليهودية والمسيحية والإسلام في أوراسيا وأوروبا. ويشمل الأخلاق الإسلامية، تاريخ الإسلام في شبه جزيرة أيبيريا و شمال أفريقيا وأوروبا، ودراسات العبادات ونظرية ومنهج دراسة الأديان.

– عضو في العديد من مراكز البحوث والمعاهد المختصة بالأديان، وخاصةً الإسلام في أوروبا.

– من المهام الإدارية هي إدارة المدرسة الجامعية للدراسات الإسلامية الهولندية NISIS. عضو إدارة المدرسة الهولندية لدراسات الدين واللاهوت NOSTER. وعضو إدارة قسم التاريخ والدراسات الأوربية والدراسات الدينية في قسم الإنسانيات في جامعة أمستردام.

– عضو استشاري في إدارة مدرسة أمستردام للدراسات التاريخية ASH.

مؤلَّفاته

١- اليهود والمُسلمون في لندن وأمستردام: صراع وتعاون بين (١٩٩٠-٢٠٢٠) (٢٠٢٣).

٢- القرآن الأيبيري والقرآن في أيبيريا: من العصور الوسطى إلى الأزمان الحديثة (٢٠٢٢).

٣- الفقه الإسلامي في إيقاف معالجة المريض العضال (٢٠٢٢).

٤- الأئمة الأتراك ودورهم في صنع قرار استخدام المُسكنات (٢٠٢٢).

٥- الأطباء المُسلمون واتخاذ قرار استخدام المُسكنات: حوار تحليلي (٢٠٢٢).

٦- النبوءة والتصورات والدين في كتب الرُّقُم الألواح الرصاصية الغرناطية Granadan Lead Books (٢٠٢٢).

٧- القرن الذهبي في ٥٠٠ شخصية (٢٠٢٢).

٨- مدرسة القضاة المماليك الأربعة ونظراتهم بترجمة القرآن في أوائل القرن السادس عشر (٢٠٢٢).

٩- كتب مادة ألخميادو Aljamiado، ومادة الرُّقُم الرصاصية Lead Tablets، ومادة المورسكيين Moriscos في موسوعة الإسلام الرصينة Encyclopaedia of Islam، الطبعة الثالثة (٢٠٢١).

١٠- تنصير المدجنين Mudejars في غرناطة ووجود الإسلام بعد طرد الموريسكيين Moriscos من أسبانيا للفترة (١٤٩٢-١٧٣٠) (٢٠٢١).

١١- الجدل الديني ضدَّ الديانة المسيحية عند مُحمَّد الخضير حوالي ١٦١٠ (٢٠٢١).

١٢- مغربي في غرناطة: نبوءات وأدوات سياسية في التواريخ المتشابكة لإسبانيا (٢٠٢٠).

١٣- الشعائر الديناميكية والتنافس: بلورة الأفكار في أمستردام (٢٠٢٠).

١٤- مواجهات جدلية: المسيحيون واليهود والمُسلمون في شبه جزيرة أيبيريا (٢٠١٩).

١٥- التراجيديا إقرار طارئ: نحو نظرية دينية - علمية (٢٠١٩).

١٦- حجج إنجيلية بين اليهود والمُسلمين في لندن (٢٠١٩).

١٧- مشاركة تحقيق كتاب (ناصر الدين على القوم الكافرين) لأحمد بن القاسم الحجري، مع شورد فان كوننكزفيلد وقاسم السامرائي (٢٠١٧).

١٨- ديانة المُسلمين في القرون الوسطى والعصر المبكر في قشتالة: دراسة حول المدجنين المُسلمين (٢٠١٦).

١٩- ميجيل دي لونا Miguel de Luna مترجم كتب الألواح الرصاصية لكلٍّ من المترجم الموريسكي الطليطلي والمؤرخ العربي سيدي حامد بن انغلي (٢٠١٦)[١٨].

٢٠- العلاقات المسيحية الإسلامية: تاريخ ببليوغرافي (١٦٠٠-١٧٠٠) (٢٠١٦).

٢١- انتقال الجدل: الجدليون المُسلمون الأيبيريون وتأثيرهم في شمال أوروبا في القرن السابع عشر (٢٠١٦).

٢٢- دور اليهود والمُسلمين والمسيحيين في أيبيريا في نقل المعرفة حول الإسلام إلى العالم الغربي (٢٠١٥).

٢٣- ترجمات القرآن في العصور الوسطى والعصور المبكرة في شبه جزيرة أيبيريا (٢٠١٥).

٢٤- صموئيل بالاشي Samuel Pallache تاجر وبحَّار ودبلوماسي بين مراكش وأمستردام (٢٠١٤).

٢٥- تهجير المورسكيين من أسبانيا: التيه المتوسطي (٢٠١٤).

٢٦- تهجير ١٦٠٩-١٦١٤ والكتابات الجدلية للمورسكيين المقيمين في المنفى (٢٠١٤).

٢٧- مادة إنجيل برنابا في موسوعة الإسلام (٢٠١٤).

٢٨- الاستقطاب أم التجسير؟ استجابات المُسلمين وغير المُسلمين تجاه نقد الإسلام في هولندا (٢٠١٣).

٢٩- الحياة اليومية للمسيحيين والمُسلمين في العصور الوسطى والعالم المتوسطي الحديث (٢٠١٣).

٣٠- الحرية الدينية تحت الضغط؟ مواقف المنظَّمات الدينية في هولندا (٢٠١٢).

٣١- إدارة الكارثة: عمل المورسكيين أثناء عملية التهجير من شبه الجزيرة الأيبيرية عام ١٦٠٩ (٢٠١٠).

٣٢- الدراسات الموريسكية والعربية في أوروبا (٢٠١٠).

٣٣- نحو نظرة عالمية؟ دراسة الدين بين الميلاد ومرحلة البلوغ (٢٠٠٨).

قائمة المصادر والمراجع

- آمنة البطوش (المدرسة الاستشراقية الهولندية والتراث الإسلامي)، السعودية: ٢٠١٤.

- قاسم السامرائي (الاستشراق.. بين الموضوعية والافتعالية)، الرياض: ١٩٨٣.

- مصري المحشر بيدين (الاستشراق الهولندي والدراسات الإسلامية في إندونيسيا).

- خشاب الصادق (الاستشراق والإسلام من خلال شخصية كرستيان سنوك هيرخرونيه)، مجلَّة الإنسان والمُجتمع، العدد: ٢ ٢٠١١، ص٣٩-٤٥.

- سلمان زين الدين (الاستشراق الهولندي ودوره في حفظ التراث العربي الإسلامي). مقال صادر بتاريخ ١٠ كانون الأول / ديسمبر ٢٠٢٢.

- حكمت درباس (جامعة لايدن: نهضة في الدراسات العربية)، منشور في (ضفَّة ثالثة، منبر ثقافي عربي)، في ٢ تشرين الثاني / نوفمبر ٢٠١٧.

- سنوك هيرخرونيه (صفحات من تاريخ مكَّة المكرمة)، مكتبة الدار المئوية، الرياض: ١٩٩٩.

- P. S. Van Koningsveld (Sprekend over de islam en de moderne tijd), Prometheus, Amsterdam: 1993.

الهوامش

١- آمنة محمود الذيابات البطوش (المدرسة الاستشراقية الهولندية والتراث الإسلامي)، ص١٧٠.

٢- آمنة محمود الذيابات البطوش (المدرسة الاستشراقية الهولندية والتراث الإسلامي)، ص١٧٢.

٣- المُستشرق هوتسما: تخرج من جامعة لايدن عام ١٨٧٥، وحصل على الدكتوراه برسالةٍ عنوانها: (النزاع حول العقيدة في الإسلام). عمل مساعداً لقسم المخطوطات الشرقية في جامعة لايدن. دَرَس اللغتين الفارسية والتركية في المعهد الإسلامي، وعُين عام ١٨٩٠ أستاذاً للعربية في جامعة أوتريخت. من مؤلَّفاتهِ: (الأخطل مادح الأمويين)، و (الأضداد لابن الأنباري)، و (مجموعة نصوص تتعلَّق بتاريخ السلاجقة)، و (تاريخ الشيعة). تقاعد من عملهِ عام ١٩١٧.

٤- عبد الرحمن بدوي (موسوعة المُستشرقين)، ١٩٩٢.

٥- صلاح عبد الرزاق (إرهاصات إسلامية لاكتشاف الغرب : رحلة ابن القاسم الحجري إلى فرنسا وهولندا عام ١٦١١م)، دار أنس : ٢٠١٠.

٦- إتيان هوبير: كان طبياً ودبلوماسياً ومستعرباً فرنسياً. عمل كطبيب لدى السلطان المغربي أحمد المنصور الذهبي في مراكش، بين عامي ١٥٩٨-١٦٠٠ حيث تمكن من إجادة اللغة العربية. في عام ١٦٠٠ أصبح هوبير أستاذاً للغة العربية في كوليج دي فرانس. التقي هوبير بالمُستشرق الهولندي توماس إربينوس والسفير أحمد بن القاسم الحجري.

٧- غيوم بوستل (١٥١٠-١٥٨١): لغوي ودبلوماسي وأستاذ جامعي ورسام خرائط وعالم رياضيات. كان بارعاً باللغة العربية والعِبرية والسريانية، فضلاً عن اللغات الأوربية كاليونانية واللاتينية القديمة. في عام ١٥٣٩ أصدر كتاب (النحو العربي)، و (جمهورية الترك) الذي يرسم فيه صورة مثالية للمُجتمع العثماني. وأصدر عام ١٥٤٠ كتاب (وصف سوريا).

٨- في الهولندية يُلفظ حرف G و Ch خاءً، ويُلفظ حرف J ياءً. ولذلك يُلفظ (مايكل) بـ(ميخيل). أمَّا حرف ij فيُلفظ أي Y.

٩- أبو العباس مُحمَّد بن إسحاق بن جعفر بن وهب بن واضح اليعقوبي، جغرافي ومؤرخ وعالم رياضيات، ولد في بغداد وتوفي في مصر. اشتهر بكتب الرحلات التي قام بها، مثل: (كتاب البلدان)، و (تاريخ اليعقوبي).

١٠- أبو الحسن أحمد بن يحيى البلاذري: ولد في بغداد وتوفي فيها. مؤرخ وراوية ونسَّابة وشاعر. والبلاذر نبات مخدر قيل إنَّ جدَّه شربه فأفسد عقله ومات بسببهِ، فبقي لقب البلاذري في أولادهِ. عُرف بكتابيه (فتوح البلدان) و (أنساب الأشراف). عاصر المأمون العباسي ومدحه، والمتوكل وصار من نُدمائهِ.

١١- قامت المملكة العربية السعودية بترجمة الكتاب عام ١٩٩٩، بمناسبة مرور مائة عام على تأسيس المملكة.

١٢- في كتابهِ: (صفحات من تاريخ مكَّة المكرمة)، استعان بكتاب: (منائح الكرم بأخبار مكَّة والحرم) للسنجاري عام ١٦٨٤. وكتاب (خلاصة الكلام في بيان أمراء البلد الحرام) للسيد أحمد بن زيني الدحلان. وراجع مخطوطة (عُمدة الطالب) لعبد الله الشكور بن مُحمَّد الهندي المكي الحنفي المتوفى عام ١٨٤٠.

١٣- المجلَّة الآسيوية Journal Asiatique: مجلَّة تصدر عن الجمعية الآسيوية الفرنسية منذ عام ١٨٢٢م. وتصدر باللغة الإنكليزية.

١٤- عبد الرحمن بدوي (موسوعة المُستشرقين)، ١٩٩٢.

١٥- مُحمَّد سليم النعيمي (تكملة المعاجم العربية) لرينهارت دوزي، الجزء الأول. كتب المترجم النعيمي مقدمة وافية عن دوزي وعن الكتاب.

١٦- كتاب (المُستشرقون) لنجيب العقيقي (المُستشرقون)، ج٢، ص٦٥٨. دار المعارف، ط٣.

١٧- قاسم أحمد عبد الرزاق السامرائي (١٩٤٥-)، مؤرخ وباحث عراقي، شغل منصب أستاذ متمرس في جامعة لايدن في هولندا، وهو خبير في علم المخطوطات وتاريخها، عمل في عدَّة جامعات عربية وعالمية، وهو شقيق الأديب يوسف عز الدين السامرائي. من كتبهِ: الاستشراق بين الموضوعية والافتعالية، علم الاكتناه العربي الإسلامي، التراث الإسلامي المخطوط واهتمام المُستشرقين بهِ في جامعات هولندا، الإنباء في تأريخ الخلفاء.. دراسة وتحقيق، وفاء الوفا بتاريخ المصطفى.. دراسة وتحقيق، التصوف البغدادي، مقدمة في دراسة الوثائق الإسلامية، التوثيق والتزوير في المخطوطات والوثائق. كان معي في غرفة المكتب نتبادل أطراف الحديث في شتَّى الموضوعات التي تخص العراق والغرب والاستشراق. وكان يحكي لي عن دوراتٍ في المخطوطات يُقيمها لطلَّاب الجامعات السعودية.

١٨- سيدي حامد بن انغلي: كاتب عربي موريسكي أندلسي متنصر، و (بن انغلي) تعني (ابن الإنجيل). ويعتقد بعض الباحثين أنه الكاتب الحقيقي لرواية (دون كيشوت) للكاتب الأسباني ميغيل دي ثيربانتس، التي نشرها في جزءين بين عامي ١٦٠٥-١٦١٥. وقارنوا بين سرديات الرواية وشخصياتها بالأدب العربي والعادات العربية آنذاك. وهناك مَن يؤكد على أنَّ سيدي حامد بن الإنجيلي كان يكتب مخطوطاتٍ بعنوان: (تاريخ كون كيخوته، دلا منتشا).

Dutch Orientalism
between the historic narration and the contemporary experiment

Dr. Salah Abd al-Razaq

Leiden University / Holland

Abstract

This study explores the rich legacy of Dutch Orientalism, tracing its origins to the establishment of Leiden University in 1575, making it one of the oldest schools in the Western world. With six colleges, fifty departments, and forty national and international institutes, the school has produced thousands of scholars and orientalists, including renowned figures like Thomas Erpenius, Michael Jan de Goeje, Christian Snouck Hurgronje, and Reinhart Pieter Anne Dozy, who completed postgraduate studies at Leiden University.

The research is structured into two main sections:

The first section delves into the lives, efforts, and distinctive contributions of these Dutch orientalists to Islamic, historical, and Arabic sciences. Their significant compilations are presented with a chronological survey, highlighting their worldwide impact.

In the second section, the author shares personal experiences during their Master's and Doctoral studies at Leiden University from 1996 to 2002. Special emphasis is placed on interactions with contemporary orientalists, discussing various Islamic and historical issues, and exploring their lives, books, and essays.

Notably, Professor Sjoerd van Koningsveld takes center stage in this essay due to a seven-year companionship. The discussions spanned topics related to the author's theses and broader issues concerning contemporary Islam, Islamic thought, Muslim minorities in the West, and fundamentalist communities. Van Koningsveld's extensive work is highlighted, focusing on contemporary challenges faced by Muslims in the West, including integration, education, political association in Western life, relationships with European states, religious freedom in the European Union, and Islamophobia.